شرفات

ملحق شهري يصدر عن مجلة «اليمامة» يُعنى بالشؤون الثقافية والأدبية.

العدد الثالث عشر
ديسمبر 2024 م
جمادى الآخرة 1446هـ

الكتاب يُبْحِرُ في جدة.

زيـاد الدريس
ملف خاص.

محمد الدميني:
قصائد بالأبيض والأسود.

حنان العزاز:
الفلسفة النسوية.

شرفات

إشراف: عبدالعزيز الخزام

العدد/ الثالث عشر - ديسمبر 2024 م - جمادى الآخرة 1446هـ

محمد علي قدس:
احتواء الصروح الثقافية

63

45

حسن النعمي
يكتب مرافعة.. لكن ضد من!

62

عبدالمحسن يوسف
يكتب عن القصيدة الفاتنة

58

هاشم الجحدلي
يقدم تكتيكات معرض الكتاب

61

محمد حبيبي:
القراءة والكتابة بصفتهما جناحين

54

حامد بن عقيل
يكتب عن رواية أميمة الخميس الجديدة.

57

أمل الحسين:
حكايات الجن والطرب

العدد 2837 - 05 - ديسمبر - 2024

أما قبل

عبدالعزيز الخزام

قوة الصحافة الثقافية.

على مدى العقود الخمسة الماضية، لعبت الصحافة الثقافية دورًا محوريًا في تشكيل المشهد الأدبي والثقافي المحلي. فهي لم تكن مجرد وسيط لنشر الأخبار والفعاليات، بل كانت منصة انطلقت منها أعمال أدبية وشخصيات أسهمت في رفد الأدب السعودي بمحتوى ثري ومتميز.

على سبيل المثال، العديد من الكتب التأسيسية التي تحولت إلى أيقونات في الأدب السعودي خرجت أولًا إلى النور عبر الصحافة الثقافية، حيث نشرت موادها الأولى على صفحاتها.

وبالمثل، كان رواد التجديد والتنوير في الحركة الثقافية المحلية ينشرون أعمالهم الأولى عبر هذه المنصة، التي أسهمت أيضًا في انطلاق دواوين الشعراء البارزين، لتكون بذلك الصحافة الثقافية نافذة للإبداع ومحطة أولى للإنجازات الأدبية.

لم تكن الصفحات الثقافية مجرد مساحة للنشر، بل كانت حلقة وصل بين الأجيال، تشعل شمعة الإبداع وتنقلها من جيل إلى آخر.

الصحافة الثقافية كانت الأقوى أثرا بين أنواع الصحافة الأخرى. وإذا ألقينا نظرة على محتويات الصحف المحلية، سنجد أن المحتوى الحقيقي، ذا القيمة المعرفية والإبداعية، كان يظهر بوضوح في الصفحات الثقافية. لم تكتف هذه الصفحات بنشر الأخبار، بل قدمت كتبًا ودواوين ومجموعات قصصية، وحتى روايات كاملة نُشرت متسلسلة قبل أن يأتي "زمن الرواية".

قدمت الصفحات الثقافية ما يمكن تسميته "الجوهر". لقد كانت بمثابة الكتاب، والديوان، والمسرح، والأغنية. هي التي وسّعت آفاق المستقبل وصنعت الإضافة الحقيقية للمحتوى المحلي.

الصحافة الثقافية لم تكن مجرد قسم في الصحف والمجلات، بل كانت القوة التي أسهمت في تحويل الخيال الأدبي إلى واقع.

ومن هنا، يأتي إعلان وزارة الثقافة عن إنشاء جائزة للإعلام الثقافي، كخطوة تحمل في طياتها أهمية كبيرة. فهي تعني فتح الباب أمام تعاون أوسع بين المؤسسات الثقافية والإعلامية لتوسيع دائرة الاهتمام بالمبادرات الثقافية. ومع ذلك، ينبغي على المسؤولين الجدد في المؤسسات الثقافية أن يدركوا أن الاعتماد على شركات الاعلان والوسائط الاجتماعية وحده لا يكفي؛ فالمحتوى الثقافي الحقيقي يحتاج إلى منصات تقدم عمقًا ورؤية، تمامًا كما كانت تفعل الصحافة الثقافية لعقود.

khozam55@hotmail.com

حسين صبح..
برنامج مقترح موازي
لمعرض جدة
49

نصوص:
شفيق العبادي، عبدالله
العرفج، شقراء المدخلية،
رجاء البوعلي.
52

مقالات:
مريم المساوي، شهد
العتيبي، هشام السلمي،
أسماء العبيد.
60

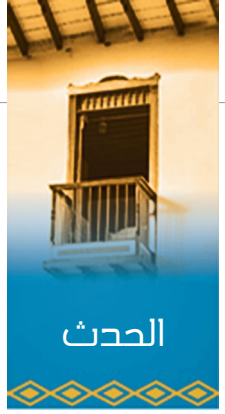

معرض جدة للكتاب 2024:
منصة ثقافية تجمع العالم.

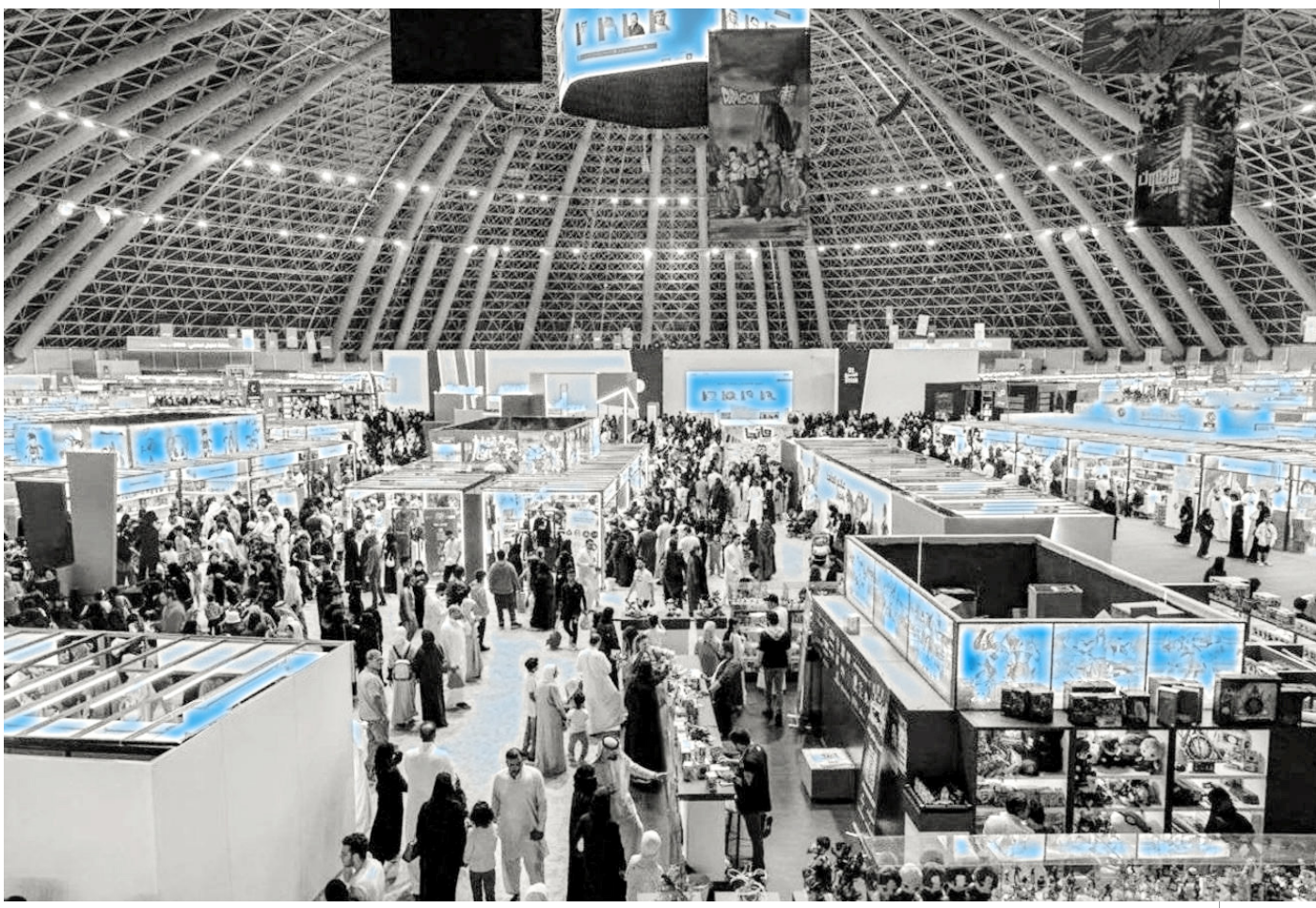

تنطلق يوم الخميس القادم فعاليات معرض جدة الدولي للكتاب 2024، الذي يُقام خلال الفترة من 12 إلى 21 ديسمبر 2024، في "قبة سوبر دوم جدة". ويُعتبر المعرض الذي تنظمه هيئة الأدب والنشر والترجمة حدثاً ثقافياً سنوياً بارزاً يجمع الأدباء والناشرين والقراء من مختلف أنحاء العالم، ويعد من أبرز الفعاليات الثقافية في المنطقة.
وتبرز أهمية المعرض من كونه واحدا من النشاطات التي تعمل على تعزيز الوعي الثقافي وتستهدف مختلف شرائح المجتمع، خاصة الشباب.
ويشارك في المعرض ابرز دور النشر المحلية والعربية، ويقدم معرض جدة هذا العام برنامجاً ثقافياً مصاحباً غنيًا بالفعاليات، يشمل ندوات رئيسية، أنشطة ترفيهية وثقافية، وورش عمل متخصصة.
وتتنوع الأنشطة الثقافية المصاحبة لمعرض جدة للكتاب 2024 بين ندوات رئيسية، فعاليات ترفيهية ثقافية، وورش عمل مميزة، مقدمة برنامجًا متكاملاً يستهدف جمهوراً متنوعاً من عشاق الكتب والمثقفين والزائرين.
ويتضمن البرنامج مجموعة من الندوات التي تُقام بمعدل ندوة واحدة يومياً، وتتناول مواضيع ثقافية وفكرية متعددة. كما يقدم المعرض أمسيات شعرية، حوارات مع شخصيات روائية بارزة، ومسرحيات هادفة.
ويمثل البرنامج الثقافي فرصة للزائرين للانخراط في حوار ثقافي غني، والتفاعل مع مختلف الأنشطة التي تجمع بين المعرفة، الإبداع، والتسلية. كما يتيح المعرض لزواره استكشاف القضايا الأدبية المعاصرة، واكتساب مهارات جديدة من خلال ورش العمل والجلسات الحوارية.

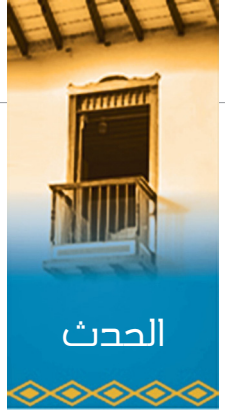

هاشم الجحدلي: «تكتيكات» معرض الكتاب.

هاشم الجحدلي

عندما يتعلق الأمر بـ "معارض الكتاب" والشغف بالكتب، يتبادر إلى الذهن فورًا اسم الشاعر هاشم الجحدلي، الذي صنع لنفسه حضورًا فريدًا في كل محفل ثقافي يرتبط بالكتاب. قبل أيام فقط، أنهى الجحدلي زيارته إلى معرض الكويت الدولي للكتاب، وقبل أن يلتقط أنفاسه، كان قد حجز مقعده إلى القاهرة لمتابعة الدورة السادسة والخمسين لمعرض القاهرة الدولي للكتاب. واليوم، يعود إلى مدينته جدة استعدادًا للحدث الذي ينتظره بشغف كل عام: معرض جدة الدولي للكتاب، الذي تنطلق فعالياته على ساحل البحر الأحمر في الثاني عشر من هذا الشهر، على بعد خطوات قليلة من منزله.

الجحدلي، الذي ذاع صيته بوصفه يمتلك مكتبة شخصية قد لا يوجد لها نظير في المملكة وعُرِفَ بشغفه العميق بالكتاب، لا يكتفي بحضور المعارض، بل يكرّس جهده لتقديم رؤاه وتوصياته لمرتاديها عبر حساباته في وسائل التواصل الاجتماعي، حيث يتفاعل مع عشرات الآلاف من متابعيه، مشاركًا إياهم تجاربه الثرية وخبراته الطويلة.

ومع اقتراب موعد معرض جدة الدولي للكتاب، تتجدّد الأسئلة حول كيفية الاستفادة المثلى من هذا الحدث الثقافي الكبير، الذي أصبح واحدًا من أبرز المناسبات الثقافية في المملكة. في هذا السياق، يقدّم الجحدلي خلاصة أكثر من أربعين عامًا قضاها في متابعة معارض الكتب العربية، ليضع بين أيدي القراء والمهتمين استراتيجيات فعّالة تضمن تجربة مثمرة وممتعة.

*نصائح الجحدلي وتكتيكاته

***تكتيكات أولية.. ماذا تشتري من معرض الكتاب؟**

-الكتاب الذي يجب أن تقرأه الآن، ويفترض أن يبقى في مكتبتك.

الكتاب الذي لن تجده في المكتبات ولا في مواقع بيع الكتب.

كتب الدور البعيدة والتي على وشك التوقف.

الكتب التي لا تباع في بلدها بسعر مدعوم ومخفض جدًا.

الكتب التي تصدر دوريًا وتسحب من الأسواق بعد ذلك.

الكتب التي تناقش مواضيع أساسية بالنسبة لك.

الكتب التي تكمل سلسلة مهمة تعنيك.

كتب الدور التي توقفت ووجدتها بالصدفة.

الكتاب الأكثر ضجيجًا ليس دائمًا الكتاب الذي يجب أن يقرأ.

كتب التراث العربي النادرة.

كقانون عام، المترجم الجيد يقودك للمؤلف الجيد.

لم تعد هناك دور يعتمد عليها بشكل مطلق، فلا تغرق في إصدارات دار بعينها واعتبر ذائقتك هي دليلك.

*تكتيكات أخرى للمعرض

-ضع قائمة كتب لـ 50٪ من ميزانيتك.

اعرف سعر كتابك من جملون.

بعض الكتب مهمة ولكنها موضة، اشترك في تقاسم شرائها مع مجموعة.

كتب دور كلمات الشارقة والكويت ومعنى والتنوير وخطوط مغربية.

الكتب النادرة قليلة.

***تفاصيل مهمة**

***ما هو الكتاب الذي لا بد أن تشتريه من معرض الكتاب؟**

-الكتاب المهم الصادر عن دار نشر توقفت أو صدر قبل عام 2000 أو عن سلسلة شهرية أو فصلية أو يكمل لك سلسلة ناقصة.

-الكتاب الصادر عن دور من دول لا توزع كتبها جيدًا، مثل موريتانيا واليمن وعمان وقطر وليبيا وبعض دور الجزائر والمغرب وتونس.

-الكتب العراقية، خاصة كتب الجامعات والرواد والمجلات وكتب الجهات الحكومية، ودور المأمون، والمدى والرافدين.

-الكتب التي تجد فرق السعر شاسعًا بين المعرض وسعر السوق.

كتب الدور العربية في الدول الأجنبية.

-الكتب التي ترى أنها محفزة لك للعودة إلى شغف القراءة المفقود.

-الكتب النادرة التي يعتبر اقتناؤها في حد ذاته مغنمًا.

*من تجربة شخصية

-أحيانًا، بل دائمًا، عشرة كتب أو عشرين كتابًا منتقاة بعناية وبمزاج أو بتوصية موثوقة، تشتريها من معرض الكتاب، تتجاوز في جدواها مئات الكتب التي ينتهي بها الأمر إلى التكديس والاكتناز و"سدة النفس" للقراءة.

*قواعد عامة

-من حقك أن تقنن مقتنياتك من معرض الكتاب.

من حقك أن تبرز وتدافع عن اختياراتك.

ليس من حقك أن تُسفِّه الآخرين واختياراتهم.

التبشير وتبني التفاهة ظاهرة مزعجة، ولكن ليس بهكذا أسلوب يمكن مقاومتها.

تكريس الجمال هو الحل.

*التواصل مع القراء

-في معرض الكتاب، من المبهج أن تجد من يحتفي بك لأنه يقرأ لك.

الأشد بهجة أن يعطيك من وقته عدة دقائق ليناقشك في موضوع أو يجادلك في فكرة أو يصوب لك رأيًا متطرفًا.

وأخيرا، شكرا جزيلا لمن يجعلون للكتابة جدوى وللتواصل معنى وللجمال وجود معاش ومبهج.

برنامج مقترح لرحلة سياحية بين أجنحة الكتب ومعالم المدينة:

معرض جدة للكتاب.. حياة داخل الحياة.

حسين بن صبح الغامدي*

بعد أيـام تستقبل "قـبـة سوبر دوم جدة" معرض الكتاب 2024، المعرض الذي يقام نهاية كل عام ميلادي، تستقبله بفرح، وتحتفي بالقادمين إليه من أماكن شتى، ناشرين، ومتحدثين، وضيوف، وزائرين..

أيـامُ معرض الكتاب مبهجة، في العام المنصرم كنت أزوره بشكل شبه يومي، أكْثَرُ حدثَين استمتع بهما في العام ملتقى النص ومعرض الكتاب، واعتبرهما أعيادا بديلة أو اضافية. معارض ما بعد كورونا تغيّر فيها كل شيء، الموقع، ودور النشر، والمؤلفون، والقراء، والكتب، والفعاليات، والزائرون، حتى إنني لم أعد ألقى من تعودتُّ الالتقاء بهم في معارض سابقة..

عدد من دور النشر التي لم تكن معروفةً قبلُ صارت مقصَدًا، اتخذتْ مكانًا رَحْبًا لعرض إصداراتها، حظيَتْ بجمهورٍ عريضٍ من فئة عُمريةٍ مختارة، أضحَتْ تقدم للصبايا والشباب كتبًا مثيرةً، إما مزخرفةً ومزيَّنة أو كُتُبَ مشهورين مؤثرين في وسائل التواصل حتى لو لم تكن ذات مضمون قيّم، يكفي أنها مزخرفة، وربما قدّمَ المؤلف لإصداره في اليوتيوب أو الوسائل الأخرى بأسلوبٍ جاذب ومؤثراتٍ صوتيةٍ.

لم تعد الكتبُ هي النتاج الوحيد في معرض الكتاب، فمنذ زمن حضرت الأنشطة الثقافية والفعاليات العديدة، المسرح يزدحم به الحضور، وتتجه الأمهات نحو قسم الطفل لإعـدادِ أطفالٍ يقرؤون، محاضرات وفعاليات، ولم نعد نستغرب من مناظر الطوابير أمام دكاكين القهوة والشاي المنافسة الشرسة للكتاب في وقـت عـرضـه. مـيـزة توقيت المعرض أنه موافقٌ للشتاء، و"جدة" صديقة الشتاء، فهي الأكثر دفئا مقارنة بمدن العالم المحيط..

بعض الزائرين يستثمر وجوده في جدة ليذهب لأداء العمرة، مكة وجدة يفصل بينهما أقل من ساعة، أما لو تم اختيار قطار الحرمين السريع كوسيلة نقل سريعة ومريحة فدقائق معدودة كفيلة للوصول إلى مكة المكرمة، والراغبون في ذلك عليهم الحجز قبل وصولهم بوقتٍ كافٍ، تنظيم الرحلة في غاية الأهمية لا سيما أن جدة مليئة بالأماكن التي تستحق الزيارة. وعشرة أيام وهي أيام المعرض قليلة لو أخذنا في الاعتبار الانشغال بالمعرض مع جولة سياحية. المنطقة التاريخية (البلد) في جـدة جديرة بالزيارة أكثر مـن مـرة، فـزيـارةٌ واحـدة لا تكفي، كل شيء في البلد يستحق التأمل، المباني القديمة والأسواق العتيقة والحديثة والشوارع والناس والطرقات والموقع والأبراج الواقفة منذ عشرات السنين. فعلى سبيل المثال "عمارة الملكة" تجاوَزَ عمْرُها نصف قرن، وفي بلد جدة يشاهد الزائر أطوارًا من التاريخ، ولو رافقه أحد المرشدين أو العارفين سيظفرُ بأعذب القصص والحكايات عن قلب جدة ونواتها والمكان الذي بدأت منه المدينة العريقة ثم تمددت في جميع الاتجاهات..

واجهة أبحر الجديدة لا تبعد عن موقع معرض الكتاب سوى دقائق معدودة، وهي مكان رائـع للتنزّهِ والمشي والاسترخاء ومَـلء الصدر بنسيم البحر.. ولـرواد "المولات" أقربُها إلى المعرض المول الجديد المبهر "ذا فيلج مول".. كما يوجد عـدد مـن المطاعم المميزة في مدينة جدة، فمنطقتي ذهبان وثول شمال جدة تتميز بمطاعم الأسماك الكبيرة والطازجة.. كما يوجد مطاعم سعودية متطورة لا تبعد كثيرا عن مقر الـمـعـرض، خـلاف المطاعم العالمية ذات السلسلة والفروع المنتشرة في انحاء المدينة..

قد يزدحم المعرض بالبشر وخاصة عندما يتقاطع مـع اجـازة نهاية الأسبوع، وقد تمتلئ المواقف رغم سعتها، وحـدث ذلك في معارض سابقة.. والبديل كانت مواقف مدينة الملك عبدالله الرياضية، حيث أعدَّ المنظمون حافلاتِ النقل الترددي، أما أنا ففضلت السير ضمن جموع من البشر، الطقس يساعد ومنظر الناس التي تفضل المشي كان محفزا.. ربما استغرقت عشرين دقيقة من المتعة أو تزيد قليلا..

المعرض في نسخته الماضية كان يفتح أبوابه ابتداء من الحادية عشر صباحا حتى الحادية عشر مساء.

عشاق الكتب ومتأمليها والمبهورين بالعناوين والأغلفة عادة يتواجدون فـي الـفـتـرة الـصـبـاحـيـة، ولكن الفعاليات في الفترة المسائية، لذا يتكاثر الناس في تلك الفترة..

الأمور تسير بنظام، وكم كبير من

المرشدين والمرشدات وحراس الأمن ينظمون حركة الناس والسيارات. حتى أجهزة التقنية التي تتيح لك البحث من خلالها بكل سهولة ستجد مرشد أو مرشدة لمساعدتك..

تجربتي مع معرض جدة للكتاب تمتد عشرات السنين منذ أن كان يعقد بالقرب من جامعة الملك عبدالعزيز مرورا بالمعارض المعدة من قبل الغرفة التجارية، ثم المعرض الذي كان يقام في أبحر الجنوبية على البحر

داخلي وكأني فقدت صديق حميم.. أيام معرض الكتاب حياة داخل حياة، كتب جديدة، أصدقاء جدد، أمسيات جديدة، مسامرات جديدة، ومثقفون جدد..

فنون التسويق الحديثة أسهمت في ترويج الكتب؛ سواء من خلال هالة سابقة للدار أو مكان فسيح وأصناف كثيرة من الكتب وبائعين أنيقين فتيات وشباب يملكون مهارة عالية في الاتصال وفن التعامل مع العملاء.

وفي أحد المعارض توقفت بدار

معرض الكتاب ليس مجرد بيع أو شراء كتاب، هو لقاء أصدقاء والتعرف على مؤلفين وباحثين ودور نشر وحضور أمسيات وفعاليات وورش عمل مفيدة، هو نزهة فكرية عذبة..

بقي أن أقول للقارئ العزيز، حذارِ من الكتاب الذي يحتاج طابورا طويلا كي تصل إلى مؤلفه، بعد حين ربما لن تجد به القيمة أو التجربة الإنسانية التي تنشدها.

وحذارِ من الكتب المزخرفة، والكتب المغلّفة، وأحذّر من كتب المترفين، وكتب محبي الاستعراض. ومن كتب

مباشرة.. ولا أخفيكم في السنوات الأخيرة أصبحت مع يوم المعرض الأول أشعر بحزن طفيف على عام ذهب من عمري، وذكريات جميلة افتقدتها، وكتب لم اقرأها بعد، ومشروع كتابي لم أنهيه بعد، واصدقاء الكتب الذين افتقدتهم فمعارض الكتاب هي التي كانت تربطني بهم. مع الأيام يتبدل ذلك الشعور شيئا فشيئا حتى أصل إلى النشوة فالجولة في معرض الكتاب قد تعادل متعة سيدة تتسوق في مول كبير لأول مرة. ولكن الفرحة تتلاشى وتنطفئ في اليوم الأخير ويتسلل الفراغ إلى

نشر وركزت في طريقة البائع وهو يقنع سيدة برواية، كانت طريقته مقنعة ويظهر من خلالها الصدق، يصف لها الرواية وهو مؤمن بها، يصفها بطريقة مدهشة، يوظف ابتسامته ونبرة صوته ولغة جسده بطريقة احترافية، السيدة بدلا من شراء نسخة اشترت ثلاث نسخ لها ولصديقاتها.

طلبتُ نفس النسخة وكانت مغلّفة واقترحت على البائع فتحها ولم أجد فيها ما يجذبني، حتى اسم كاتبها لأول مرة اسمع عنه، ولا أعلم كيف كان انطباع تلك السيدة! الأهم أن البائع استخدم مهارته ونجح في تسويق سلعته.

المشاهير، يكفي الوقت الذي صرفته في متابعتهم. ولا أنصحك بالشراء لكاتب يُصدِر كتابًا كل عام، عندما يتحول الكاتب إلى آلة فلن يضيف شيئًا. الرواية الأجمل هي التي يتم طبخها على نار هادئة، وأجمل القصائد هي القصائد اليتيمة.

لذا حاول تكتشف بنفسك الكتاب الذي يناسبك، دون توصيات ولا قوائم، وعندما تقتنيه وتجد ذاتك فيه، فهو الإنجاز والتميز الذي تستحقه.

*قاص وصحافي وسفير جمعية الأدب بجدة.

تاريخ معرض جدة:

الخشرمي وجها لوجه أمام محاولة الاغتيال!

عبدالله الخشرمي

في ذكريات لا تُنسى ومسيرة مليئة بالتحديات، يفتح اول مدير لمعرض جدة الدولي للكتاب الشاعر والناشر عبد الله الخشرمي صفحات من تاريخه الطويل مع معرض جدة الدولي للكتاب، كاشفًا تفاصيل غير معروفة حول بدايات تأسيس المعرض من الغرفة التجارية بجدة، والعقبات التي واجهها، وصولاً إلى جعله واحدًا من أبرز معارض الكتب في العالم العربي. في حديث خاص، يتحدث الخشرمي عن لحظات حاسمة، من تهديدات شخصية ومحاولات اغتيال، إلى دعم مؤثر من شخصيات بارزة، في مقدمتها سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ. هذه القصة الاستثنائية تكشف عن شجاعة المثقف في مواجهة التحديات، وعزيمته الراسخة في تحقيق حلم ثقافي أصبح اليوم منصة رائدة لدعم الثقافة والمعرفة. وهنا تفاصيل الحكاية التي خص بها الخشرمي ملحق شرفات:

سبع سنوات من التأسيس

(قبل سبع سنوات من افتتاح معرض الكتاب، أي منذ عام 1993، كنت أعمل على تأسيس هذا المشروع. في ذلك العام تحديدًا صدرت واحدة من أشهر المجلات الإبداعية في تاريخ المملكة، وهي مجلة "النص الجديد"، التي انطلقت من قبرص. كانت تلك المجلة بمثابة محاولة لتأسيس حضور ثقافي قوي، وقد رافقتني تلك الجهود طوال سبع سنوات من التخطيط والتحديات التي واجهها المعرض قبل أن يرى النور.

المناع سلمني الملف

الراحل الكبير الأستاذ عبد الله مناع -رحمه الله- كان له دور أساسي في تحفيزي، فقد سلمني ملف معرض الكتاب وقال لي: "أنت صاحب الفكرة، أرنا إذا كنت قادرًا على تأسيسه". خلال فترة وجيزة، حصلنا على موافقة من الديوان الملكي، والحمد لله، تحول المعرض إلى واحد من أهم المعارض العربية. لقد كان ذلك إنجازًا كبيرًا، وأذكر أنني عملت على تأسيس المعرض مع صديق عملاق مميز، وكانت الغرفة التجارية -حيث كنت حينها رئيس تحرير مجلة "التجارة" ورئيس اللجنة الإعلامية الثقافية- هي المحرك الأساسي لنجاح هذا المشروع واستمراريته حتى اليوم.

محاولة الاغتيال

لكن النجاح لم يكن سهلًا؛ فخلال تلك الفترة تعرضت لتهديدات خطيرة وصلت إلى محاولة اغتيال. وهذه هي المرة الأولى التي أفصح فيها عن هذا الأمر بشكل مباشر. الشخص الذي حاول اغتيالي وصل إلى مكتبي بالفعل، وكنت قد طلبت من مدير مكتبي، عبد الله العطاس، ألا يغلق المكتب حتى لا يصبح هناك أكثر من ضحية. ورغم تهديدات الأصدقاء الذين طالبوني بالانسحاب والبقاء في البيت قبل افتتاح المعرض، رفضت ذلك بشدة. لم أكن أرى الانسحاب خيارًا، لأن الرسائل التوعوية العظيمة لا يمكن أن تنهض بها جبناء.

مكالمة سماحة المفتي

أتذكر مكالمة هاتفية مع سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ -حفظه الله- الذي كان له دور محوري في إنقاذ المعرض. خلال تلك المكالمة، أكد سماحته دعم المشروع وأوضح أن من أسس هذا المعرض ليسوا كفارًا أو ملحدين، بل مؤمنون بأهمية الثقافة والعلم. ومن خلال هذه المكالمة، التي كنت أنقل تفاصيلها عبر الهاتف للدكتور أنور عشقي، استمع إليها الشخص الذي كان يخطط للاعتداء عليّ، تراجعت التهديدات وانقلبت الأمور لصالحنا. كنت أقول للدكتور عشقي ان سماحة المفتي قال لي حرفيا والله اننا وجدنا أن معرض جدة هو معرض للكتاب الإسلامي أكثر منه معرضا للكتاب الادبي. كنت اردد ذلك وأحلف بالله ان ذلك ما قاله لي سماحة المفتي. وبعد أن سمع ذلك الشخص الذي كان ينوي الاعتداء علي هذا الجزء من المكالمة لاحظت عليه الانكسار ليتجه للنافذة المطلة على البحر في مكتبي ويبدأ بالاستغفار وابداء الندم. وقد فضلت عدم تبليغ الجهات الأمنية المختصة وقتها لأني كنت اريد التعامل معه بسلاسة وخاصة ان ضميره استجاب بعد مكالمة سماحة الشيخ واتجه للزجاج وبدا بالتراجع عن الاقدام واستحلفني بالله هل كلمك الشيخ!

أجمل رواياتي

هذا الموقف وغيره من المواقف شكلت أجمل روايات حياتي التي لم أشاركها من قبل، إلا في مكتبة الملك فهد العامة. وأشير هنا إلى أن محمد القشعمي، الرائد التاريخي في توثيق الأحداث، قام بتسجيل سيرتي الذاتية على مدى أربع ساعات، لكن بعض أسرار تلك الفترة الحساسة لا يمكن الإفصاح عنها إلا بعد وفاتي، نظرًا لخطرها الكبير. هذه الرواية ليست فقط عن معرض الكتاب، بل عن مسيرة طويلة من العمل الثقافي والتحديات التي واجهناها من أجل تحقيق أحلامنا.)

العدد 2837 - 05 - ديسمبر - 2024

احتواء الصروح الثقافية ومراجعتها..

خطوة مهمة نحو تجديد المشهد الثقافي.

محمد علي قدس*

في ظل الأحداث المدلهمة بأمتنا يغيب صوت العقل، صوت النخبة القدوة من أدباء ومفكرين ممن لهم صوت في قول الحق وفي قراءة الحقائق بعقلانية وتبصر، نجدهم يصمتون!

ثقافة كل أمة تتنامى وتزدهر بعطاء أدبائها ومفكريها، لأن عماد بناء صرح كيان الأمم ببناء الأسس الصحيحة لمنظومة ثقافية تعليمية، يقود مسيرتها ويكون القدوة في التحمس لكل تطور في البنى التحتية لبناء الإنسان، يتمثل في القدوة والقادة من المفكرين والمثقفين الذين يملكون أدوات التغيير، وبإمكانهم أن يحدثوا الفارق لكل التحديات التي تواجهها الأمم، فلا شك أن صوت كل أمة يتمثل في أدبائها ومثقفيها، لأنهم نبض فكرها بما ينتجونه ويبدعونه لثقافة الأمة، وما تنجم عنه حواراتهم ونقاشاتهم الفكرية، وما يطرحون من أفكار ورؤى، فهم المرآة الحقيقية لحراك كل عطاء ونتاج فكري تتمثل به كل أمة، وإذا كانت الكتب سجل تاريخ الأمم فإن المفكرين والمثقفين هم عقلها ونبض كل متغيراتها الحضارية.

إننا ومن واقع الأحداث الراهنة نرى أننا في حاجة لصياغة مفهوم جديد وصيغة متزنة لنقد المشهد الثقافي ومتقلبات الواقع بكل تحدياته، لذلك نحتاج من القادرين من مفكرينا ومثقفينا الذين هم على درجة كبيرة من الوعي والمصداقية والحيادية التامة في قراءة الواقع ومستجداته ومتطلباته، الاعتماد عليهم في قراءة المنظومة الفكرية والمناهج الثقافية بكل متاهاتها وأبعادها، وإخضاعها للتحليل والتفسير لكثير من المسائل التي تجبرنا متغيرات العصر وتحديات الأحداث أن نكون على درجة كبيرة من الجرأة لنقود مسيرة التصحيح الذي تفرضه التحديات الراهنة ومستجدات الأحداث ويكونوا قدوة في صنع رأي عام فيه من الشفافية والصدق والإحساس بالمسؤولية، والحفاظ على مكتسباتنا في أمننا الفكري والوفاق الوطني.

حتما إن الأولى بنا ونحن بصدد إحداث الكثير من المتغيرات في مشهدنا الثقافي وحراكنا الأدبي، أن نحتوى كياناتنا وصروحنا الثقافية باهتمامنا ونخضعها للدراسة والمراجعة، فالأمم عادة تتخذ من الأزمات والنكبات سببا في النهوض والتغيير، فأوروبا وألمانيا تحديدا بعد الحرب العالمية الثانية أعادت النظر في الكثير من النظريات والثقافات للخروج من نكبة الهزيمة ودمار الحرب، وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001،عادت أمريكا وأوروبا لقيمها الثقافية، واحتكمت إليها في جميع المناهج، وكان الأدعى بدول الخليج أن تعي ضرورة أن يتجه مفكروها والنخب الثقافية فيها لإعادة النظر في منظومتها الثقافية والفكرية، ومعالجة كل الأخطاء.

*كاتب وقاص شغل منصب أمين سر النادي الأدبي بجدة لأكثر من ٢٥ عاما.

الملف

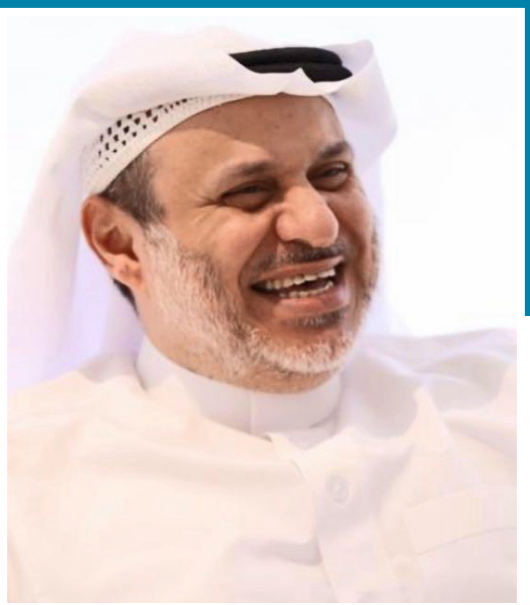

د.زياد الدريس: اليوم العالمي للغة العربية صناعة سعودية صرفة.. ويغيظني تنازل بعض مؤسساتنا الثقافية عن هذا الحق!

عبدالعزيز الخزام

بين الكتابة والعمل الثقافي والدبلوماسية، امتدت مسيرة الدكتور زياد الدريس لأكثر من أربعة عقود، تميزت بالتنوع والثراء. انطلق من صفحات مجلة اليمامة ككاتب شاب، ثم قاد مجلة المعرفة نحو تحول نوعي في المشهد الثقافي السعودي، قبل أن يمثل المملكة في أروقة اليونسكو لعشر سنوات (2006-2016)، حيث حقق إنجازات بارزة، مثل إقرار اليوم العالمي للغة العربية وتسجيل المواقع السعودية في قائمة التراث العالمي.

هذا الحوار يأتي ضمن ملف نقدمه تكريمًا للدكتور زياد الدريس، يُنشر في توقيت خاص: شهر ديسمبر، الشهر الذي تمر فيه المناسبة التي كان الدريس يقف خلفها: اليوم العالمي للغة العربية. وإذا كان البعض يقول بأن ديسمبر هو شهر الوقوع في الحب، فإنه أيضًا شهر زياد الدريس واللغة العربية.

في هذا الحوار، يكشف الدريس عن محطات شكلت شخصيته الثقافية، من المنزل الذي جمع بين قيم والده الإمام والشاعر عبدالله بن إدريس، إلى اكتشاف الذات والعمل الثقافي في باريس. كما يتحدث عن شغفه بسوسيولوجيا الثقافة، وكيف انتقل من المختبرات العلمية إلى العمل الدبلوماسي.

يُبرز الحوار تأملات الدريس في واقع اللغة العربية، أفراحها وأحزانها، ويستعرض فلسفته حول الكتابة، حيث اختار أن يُكثف طاقته الإبداعية في النثر بدلاً من الشعر. كما يجيب بعمق وسخرية عن أسئلة حول قضايا الكتابة الساخرة، تحديات مجلات الآداب والفنون، وتجربته في مركز عبدالله بن إدريس الثقافي.

ختامًا، يعيدنا الدكتور زياد الدريس إلى التأمل في سؤال جوهري: ما الذي ذهب وما الذي بقي؟ ليتركنا أمام إجابة مفتوحة، تعكس مسيرة حافلة بالعطاء.

مجلة المعرفة واليونسكو صنعتا زيادا آخر

بالنظر إلى مسيرتك المتنوعة التي انطلقت من الكتابة في مجلة اليمامة، مرورًا برئاسة تحرير مجلة المعرفة، ثم انتقالك إلى مجالات الدبلوماسية والسياسة والثقافة، ما أبرز المحطات التي أسهمت في تشكيل شخصيتك الثقافية؟ وكيف تقيّم رحلتك الثقافية بعد أكثر من أربعين عامًا من العمل والإنجازات في مختلف المجالات؟

- في تشكيل شخصيتي "الثقافية"

تحديداً، سأقول بأن عملي في مجلة المعرفة لعشر سنوات ثم في منظمة اليونسكو لعشر سنوات أخرى هما المحطتان الأبرز في قطار تلك الرحلة. فزياد قبل مجلة المعرفة غير زياد بعدها، وزياد قبل اليونسكو ليس هو زياد الذي بعدها. أقول هذا غير غافلٍ بالطبع عن أن بعض مقالاتي التي كتبتها خلال الـ ٤٤ سنة الماضية تكاد تشكل إحداها محطة بذاتها، مثل مقالة (أردت السلام على النبي ولم أرفض السلام على الأمير)، ومقالة (السلفية.. هل هذا وقتها؟!) وغيرهما اثنتان أو ثلاث.

الشاعر..الإمام..رئيس التحرير

عشت في منزلٍ الوالدُ فيه هو الشاعر والإمام ورئيس التحرير عبد الله بن إدريس، وتنقلت في طفولتك وشبابك بين عدة عواصم عربية وعالمية، كيف أثرت اجواء المنزل والتنقل المبكر في تشكيل هويتك الفكرية والثقافية؟

- تحدثت كثيراً عن هذا الأمر، وأجبت كثيرا عن مثل هذا السؤال، ولا أملّ من الحديث عن والدي (عبدالله بن إدريس) يرحمه الله، وأثره عليّ وفضله الكبير في مسيرتي، لكن أخشى أن يملّ القراء من ترديد السؤال والإجابة نفسها، ومن تكرار تذكّري أفضال أبي، ولا ألومهم فهم يرون أن كل ابن يشعر بهذا الامتنان تجاه أبيه، وأطمع منهم بالمثل أن لا يلومونني فأنا أشعر أن أبي يختلف عن سائر الآباء!

في الحقيقة لم يكن أبي مجرد شاعر رقيق وقيمي صارم في آن، أو مجرد إمام مسجد ومنفتح ومستنير في آن، أو رئيس تحرير لصحيفة إسلامية تتمرد على العباءة التقليدية لتلك الصحافة. كان أبي كل أولئك وأكثر، ولذا جعلت عنوان كتابي الصغير عنه بعد وفاته يرحمه الله هو: (أولئك أبي).

زياد في الديار القديمة

من العلوم الى الثقافة

بين حصولك على بكالوريوس العلوم في كلية العلوم ونيلك درجة الدكتوراه في سوسيولوجيا الثقافة، يظهر شغف عميق تجاه القضايا الثقافية. كيف يمكنك أن تسرد لنا قصة هذا الشغف الذي قاد أخصائي المختبر إلى أن يصبح مندوبًا دائمًا للمملكة لدى اليونسكو؟ وما الذي دفعك إلى الانتقال من المجال العلمي إلى العمل الثقافي والدبلوماسي؟

- بالفعل، تخرجت في تخصصي العلمي وعملت في المجال نفسه، بالتزامن مع ممارستي لهوايتي الكتابية منذ سنين الدراسة. لم يخطر في بالي أبداً منذ تخرجي وأثناء عملي في وزارة الصحة إكمال دراساتي العليا في تخصصي العلمي. لكن بعد أن "انحرفتْ" بوصلتي المهنية من العلوم إلى الثقافة، ومن الهواية إلى المهنة، بعد بدء عملي في مجلة المعرفة، رأيت أنني في حاجة إلى بناء قاعدة تحصيلية في المجال المهني الجديد تتجاوز مجرد القراءات الحرة، لإيماني القديم بأن الثقافة ليست مجرد قراءات حرة، بل هي عمل منهجي يرتكز على قواعد لعبة صلبة. من هنا نبعت فكرة إكمال الدراسات العليا لتكون ذخيرة معرفية جديدة لي في المجال المهني الجديد. وقد ظن بعض أصدقائي أني نادم على السنين التي أضعتها في دراسة التخصص العلمي، وهذا غير صحيح أبداً فأنا ما زلت إلى اليوم أنهل في عملي الثقافي من منهلين متضافرين: العلمي (التطبيقي) من دراستي الأولى حيث الصرامة العقلانية، والأدبي (الإنساني) من دراستي الثانية حيث الرحابة الوجدانية.

أما سؤالك: "ما الذي دفعني إلى الانتقال...."، فإني لا أدري هل ينبغي أن يكون السؤال: (ما) الذي دفعني، أم (من) الذي دفعني؟!

اليونسكو..سنوات الدهشة والاكتشاف

أدرك أن تجربتك في منظمة اليونسكو لا يمكن الإحاطة بها بشكل كامل، فقد نجحت خلال تلك الفترة في جعل اليونسكو موضوعًا يوميًا في الصحافة المحلية، وأسهمت في إقرار اليوم العالمي للغة العربية، وتسجيل المواقع والتراث السعودي في قائمة التراث العالمي. بعد مرور كل هذه السنوات على قيادتك للوفد السعودي في اليونسكو، كيف تصف تلك التجربة؟ وما أبرز

> أنا لا أتكلم عن مجد شخصي، بل مجد وطني ينبغي التمسك والاعتزاز به
>
> زياد قبل مجلة المعرفة واليونسكو غير زياد بعدهما
>
> والدي لم يكن مجرد رئيس تحرير لصحيفة إسلامية تتمرد على العباءة التقليدية لتلك الصحافة
>
> "انحرفتْ" بوصلتي المهنية من العلوم إلى الثقافة بسبب مجلة المعرفة

التحديات التي واجهتها خلال عملك على تعزيز الحضور الثقافي السعودي على الساحة الدولية؟

- وصفت لك تجربتي في منظمة اليونسكو في ثنايا إجابتي عن السؤال الأول. وإن شئت تفصيلاً أكثر فقد كانت عشر سنوات مليئة بالدهشة والاكتشاف، اكتشفت: زياد وباريس واليونسكو، زياد آخر غير الذي كنت أعرفه، وباريس مختلفة عن التي كنت أزورها سائحاً، ويونسكو أعمق وأعقد من تلك التي أقرأ أخبارها في الصحف.

أما أبرز التحديات فهو أن لا أعود من باريس وكأنني كنت سائحاً فيها طوال 10 سنوات، وأظنني نجحت في ذلك.

ولدت ثلاث مرات!

****بوصفك من يقف خلف إقرار احتفالية اليوم العالمي للغة العربية، أود أن أتعرف على مشاعرك الشخصية في الثامن عشر من ديسمبر من كل عام عند الاحتفال بهذا اليوم؟ وهل يبعث واقعنا اللغوي الحالي فيك مشاعر الحزن، أم ترى فيه ما يدعو للتفاؤل والبهجة؟***

- كتبت مرةً بأني الوحيد في هذا العالم الذي لديه ثلاثة تواريخ (عيد ميلاد): تاريخ عيد ميلادي الرسمي 28 نوفمبر (لأنه يتوافق مع تاريخ 1/ 7/ 1382هـ)، وتاريخ عيد ميلادي الحقيقي 29 ديسمبر (3/ 8/ 1382هـ، وجدته موثقاً في قصاصة بخط أبي، لكن وجدته للأسف بعدما أُدخلت في زمرة مواليد واحد سبعة!)، وعيد ميلادي الوجداني 18 ديسمبر (حيث يحتفل العالم كله باليوم العالمي للغة العربية)، فأشعر بأن كل "الحروف" التي تُكتب ذلك اليوم هي "شموع" لميلادي الجديد!

أما واقعنا اللغوي فيدعو للحزن وللفرح معاً، الحزن بسبب زهد بعض الشباب العرب في استعمال لغتهم، والفرح بسبب الإقبال الكبير من غير العرب على تعلّم اللغة العربية، أليست مفارقة تدعو للعجب واختلاط المشاعر؟!

لكني سأعود قليلاً لحديث (اليوم العالمي للغة العربية)، لأقول شيئاً مهماً هو أن هذه الاحتفالية التي باتت عالمية الآن هي إنجاز سعودي محض، ساهم في وضع إرهاصاته في العام 2006م ثم في تأسيسه في أكتوبر 2012م: اللجنة الوطنية السعودية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع مؤسسة الأمير سلطان بن عبدالعزيز الخيرية وعبر مبادرة وتحرك من لدن المندوب الدائم للسعودية لدى اليونسكو حينذاك. ويغيظني كثيرًا التنازل أو التهاون من بعض مؤسساتنا الثقافية عن هذا الحق الوطني/العروبي/العالمي، بعدم تكريس أن هذه المبادرة العالمية التي تحين كل عام هي صناعة سعودية صرفة. أنا لا أتكلم عن مجد شخصي، بل مجد وطني ينبغي التمسك والاعتزاز به.

احياء المطبوعات الميتة

****لدى وزارة الثقافة مشروع لإعادة إحياء مجلات الآداب والفنون. استنادا إلى تجربتك في إعادة إحياء مجلة المعرفة، كيف تنظر إلى هذا المشروع؟ ما هي برأيك أبرز الإيجابيات والتحديات التي قد تواجه مثل هذه المشاريع؟ وكيف يمكن تعزيز دورها في دعم المشهد الثقافي والإعلامي؟***

- ظروف إعادة إحياء مجلة المعرفة عام 1417هـ/1997م تختلف جذرياً عن الظروف الآن. ففي خلال ثلاثين سنة مضت، جرت تحولات ثقافية واقتصادية وتقنية تهدد المطبوعات الحية الآن بالموت، فكيف بإحياء المطبوعات الميتة؟!

قد يكون نجاح المشروع رهناً بطريقة الإحياء ونوعيته، أنا لا أعرف تفاصيل عن المشروع لكني متأكد بأن وزارة الثقافة لن تقدم على مثل هذه المجازفة إلا بعد أن درستها ملياً وحددت لإحياء تلك المطبوعات طريقة الإنعاش والعيش بعد ذلك.

(ترجمة مليار كلمة)

****بصفتك أمين عام مركز عبد الله بن إدريس الثقافي، والذي أطلق العديد من البرامج والمبادرات المهمة، من بينها مبادرة "مليار كلمة"، ما هي تطلعاتك للمركز في ظل الحراك الثقافي المتسارع الذي تشهده المملكة حاليًا؟ وما الأهداف التي تأمل تحقيقها من خلال هذه المبادرات لتعزيز المشهد الثقافي المحلي والدولي؟***

- مركز عبدالله بن إدريس مركز حضاري يعمل على تكريس الهوية الوطنية والعربية والإسلامية، من خلال تعزيز القيم الحميدة ومكافحة القيم الشاذة.

كانت مؤسسة عبدالله بن إدريس الخيرية هي الأم التي ولدت "مركز عبدالله بن إدريس الثقافي" ليصبح هو الواجهة أمام المجتمع، والحاضنة للمبادرات والمشاريع. ثم أنشئ وقف عبدالله بن إدريس الثقافي ليكون الحبل السري الخيّر الذي يغذي المركز ومشاريعه.

وتعمل هذه الأذرع الثلاثة: المؤسسة والمركز والوقف، من خلال نطاقات أربعة هي: الوطني والعربي والإسلامي والإنساني، لخدمة الجيل الراهن والقادم وتعزيز قيمه وثوابته

لم أندم على السنين التي أضعتها في دراسة التخصص العلمي

أنا الوحيد في هذا العالم الذي لديه ثلاثة تواريخ ميلاد

كل "الحروف" التي تُكتب في يوم العربية العالمي هي "شموع" لميلادي الجديد!

واقعنا اللغوي يدعو للحزن وللفرح معاً

نجاح مشروع احياء مجلات الآداب مرهون بطريقة الإحياء ونوعيته

التي أكدت رؤيتنا الوطنية 2030 على أهمية حمايتها وترسيخها.
هذا المركز يتشرف باسم "عبدالله بن إدريس"، لكنه في أهدافه ونطاق عمله واسع ورحب، فهو ليس مركزاً شخصياً بل مركز ثقافي عام وشامل. وإذ لم يعد القلق من اندثار القيم الإنسانية/ الفطرية محصوراً بالعربي أو المسلم، بل هو قلق يعم العالم، مهدداً الأسر، ومستفرداً بأفرادها المعزولين؛ مزعزعاً إيمانهم بالله وبالأبوين وبالمجتمع وبالوطن الحاضن لهم. فقد جعلنا رسائلنا الأساسية هي:
تعزيز القيم الإيمانيّة لمواجهة شبح الإلحاد أو التطرف. وتعزيز قيمة الوطن والأمن الاجتماعي لمواجهة نزعات التمرد أو الإرهاب. وتعزيز الهوية واللغة العربية لنواجه مدّ الاغتراب. وتعزيز قيمة الأسرة لمواجهة شبهات الشذوذ أو التحلل الأسري.
ومبادرة (ترجمة مليار كلمة) هي الآن واحدة من أهم مشاريع المركز، حيث تهدف إلى تعزيز المحتوى العربي عبر ترجمة كتب ودراسات ومقالات بعدد كلمات (مليار كلمة). وهو ينمو بتسارع ملفت ومبشر، بإشراف ومتابعة أمين عام مؤسسة عبدالله بن إدريس الخيرية م.سامي الحصين.

زياد الدريس.. الشاعر!

زياد الدريس، الشاعر، أين هو من قائمة إصداراتك؟ يبدو أنه الأجدر بأن يكون صاحب الإصدار الأول! هل يمكن أن تحدثنا عن الجانب الشعري في شخصيتك، ولماذا لم يظهر في أعمالك المنشورة حتى الآن؟

- لست ميّالاً إلى صنف المبدع المتعدد، الذي يكتب المقالة والقصة والرواية والشعر، بنوعيه الفصيح والعامي، وقد يغنّي إذا لزم الأمر! أميل إلى تكريس الطاقة الإبداعية في مجال واحد أو مجالين على الأكثر، فيصبح النتاج فاخراً مستداماً، عوض أن يكون شعراً بنصف الجودة ومقالة بنصف الجودة ورواية بنصف الجودة. ولأني مؤمن بهذه الفلسفة، التي قد تكون خاطئة، فقد عمدت إلى تحويل الطاقة الشعرية الكامنة فيني إلى طاقة نثرية متحركة. لا أقصد بهذا أن مقالاتي ذات أسلوب شاعري، ولكني اخترت أن أبذل جهدي كي أرتقي بمقالاتي من درجة "الكتابة الصحفية" إلى ما هو أرفع قليلاً. وما أسمعه من بعض القراء/الأصدقاء أحياناً يجعلني أشعر بأن قراري كان صائباً. هذا لا يعني سيطرتي الكاملة على مخارج الكلمات التي قد تتحول أحياناً إلى شعر أو قصة، رغماً عني.

الكاتب الساخر والكاتب المسخرة!

أنت تُعد من أبرز الكتّاب الساخرين، لكننا لم نعد نرى الكثير من كتاباتك في هذا المجال مؤخرًا. ما سبب ابتعادك عن هذا النوع من الكتابة الذي يكاد فرسانه يغيبون عن الساحة؟ وما هي نصيحتك للكتّاب الشباب الذين يسعون للتميز في مجال الكتابة الساخرة؟

- هناك نوعان من الكتابة الساخرة: الكتابة الساخرة لذاتها، والكتابة المعجونة بالسخرية.
- لم أكن يوماً من فناني الصنف الأول (كمحمود السعدني ومشعل السديري وجعفر عباس)، ولكني كنت أمارس الصنف الثاني أحياناً. وقد اكتشفت حين بدأت العمل في اليونسكو أن مزج السخرية في مقالاتي لم يعد ميسوراً مثلما كنت أفعل في الرياض. احترت هل السبب تغيّر المدينة أم تغير المجتمع المحيط أم تغير نطاق العمل ونوعيته أم تغير مجالات الكتابة؟! وقد تفاقمت حيرتي وألحّت علي الأسئلة أكثر فأكثر حين تركت العمل في اليونسكو وعدت من باريس إلى الرياض فوجدت بأن نَفَس السخرية بدأ يعود قليلاً إلى مقالاتي. حدث ذاك الانحسار وهذا الرجوع تلقائياً من دون أن أقرر التجهم أو الانشكاح. وما زلت أبحث عن السبب!
أما نصيحتي للكتّاب الشباب الذين (يسعون) للتميز في مجال الكتابة الساخرة، فهي أن لا يسعوا إلى ذلك. فالكتابة الساخرة الحقيقية هي التي تسعى إليك، أما إذا سعيت إليها فستتحول من كاتب ساخر إلى كاتب مسخرة.

عمل واحد قد يغني

أخيرا، بعد هذه الرحلة الطويلة والممتدة حتى الآن، ما الذي ذهب وما الذي بقي؟

- ذهب الكثير وبقي القليل..
وربما ذهب القليل وبقي الكثير!
فالعبرة ليست بالكم، فقد تخلّدك قصيدة واحدة أو رواية واحدة أو مبادرة واحدة تغنيك عن دواوين شعر وروايات وأعمال عديدة تذهب هباء.

مركز عبدالله بن إدريس يركز على تعزيز القيم الحميدة ومكافحة القيم الشاذة.

عمدت إلى تحويل الطاقة الشعرية الكامنة فيني إلى طاقة نثرية متحركة

حذارِ من تحول الكاتب الساخر إلى كاتب مسخرة!

أميل الى الكتابة المعجونة بالسخرية

في باريس لم يتيسر لي مزج السخرية في مقالاتي وما زلت أبحث عن السبب

شهادات

ادريس بن عبدالله الدريس

شهادة من داخل البيت

«هؤلاء» زياد.

قيل لي نريد مشاركة منك بكلمة ولو موجزة عن أخيك زياد، وقد يبدو ظاهرياً ان هذا الطلب وهو الأصعب والأعسر والأحرج أنه هو الأسهل والأيسر والأقل حرجاً لكن من يخوض حياض الحديث عن نفسه - باعتبار أن أخيه شيء من نفسه وبضع من بعضه- فإن الأمر سيندرج كما هو متكرر في قوائم "الشهادات المجروحة"، لكن ستغني شهادات الآخرين من الواقفين على الرصيف عن شهادة من هو داخل البيت متعايشاً مع نشأة أخيه منذ الطفولة المبكرة وحتى الشيخوخة المفكرة.

عرفت أخي زياد الذي جاء متأخراً كآخرنا ولم يلبث في طفولته المبكرة أن داهمته كبوة في وركه أقعدته حيناً ثم اجتنبته حيناً آخر وصارت تراوح بين المكوث والانقشاع إلى أن ألزمه تجبيس رجله من قدمه حتى نهاية فخذه على ملازمة الفراش فصار والدي يرحمه الله يحمله على ظهره زيادة على حمل هم بقية صبيانه "عزوز وإدريس وسعد وسامي" فصار ينتقل به من طبيبٍ إلى آخر ومن مستشفى إلى مستشفى ثاني ومن الداخل إلى الخارج ومن بيروت إلى القاهرة وفي كل هذه الأثناء كان زياد يكبر ويصعد من مرحلة دراسية إلى أخرى بعد أن تمكن من المشي المتعرج وربما المؤلم في بعض المراحل لكنه مع ذلك لم يركن إلى إعفاء الأعرج من الحرج بل استقامت خطواته وتسامت أهدافه وصعد الدرج خطوة أعلى في الدراسة حتى "تدكتر".

درس زياد في كلية العلوم فتعرف في المعامل على الأخلاط الكيميائية وكيف ينتج بعضها ضرراً ويصبح بعضها نافعاً وهكذا أصبح معمله الشخصي منتجاً لكل نافع يخدم وطنه وأهله، وكان قد اختار الدراسة في كلية العلوم اقتداءً واحتذاءً ببعض مجايليه من الأقارب وربما أيضاً استجابة لطلب سوق العمل الذي كان ينحاز لخريجي الكليات العلمية لكن زياد استكان بعد حين للجين الوراثي فمال إلى صنعة أبيه وحرفته لذلك ترقى في دهاليز الثقافة والدبلوماسية فأحسن وهو - المحب المخلص - تمثيل بلاده خلال إيفاده مندوباً للمملكة في منظمة اليونسكو في باريس كما غمر الثقافة المحلية بنشاطه الأدبي والندوي وشارك في عديد المؤتمرات وقدم للساحة العديد من الإصدارات الثقافية الماتعة.

الأخ زياد سواءً في داخل البيت أوفي خارجه وعند كل من يعرفه هو ذلك الرجل اللطيف عف اللسان والمزّاح المتبسط مع عارفيه وهو الكاتب الساخر الذي يسيل قلمه بالعبارات اللاذعة الفكهة، وحتى وقد أعطاه الله بسطة في الجسم في مظهره الخارجي فلاق به لقب "زيادوف" لكن دواخله خلاف ظاهره فهو الرقيق جزل العاطفة ذرّاف الدمعة.

لن أفي لو استمرأت واستمررت الحديث عن أخي الذي عايشته مع بقية اخوتي منذ الطفولة والصبا وصولاً إلى الكهولة تحت كنف والدنا الكريم يرحمه الله ووالدتنا الغالية يحفظها الله اللذان ربيانا على مشاهدتهما والاحتذاء بهماً صنيعاً وخلقاً واحتراما ومحبةً فنشأت العلاقة بيننا على المحبة والمودة والاحترام فالحمدلله على كرمه ومنته فله الفضل من قبل ومن بعد.

ولعلي أكتفي بهذا الوجيز وأترك الباقي لمن يرون اخي زياد من خارج الأسوار.

زياد الكبير وزياد الصغير

ثريا زياد الدريس:
هو «الآخر» الذي يُشعرنا بأننا الأوائل

لايكتفي زياد الدريس بأن يكون ركنًا ثقافيًا بارزًا، بل أبًا ملهمًا ومحبًا.
في هذا الحوار، نستمع إلى ابنته ثريا التي تشاركنا ملامح من تلك العلاقة الدافئة التي تجمعها بوالدها. من اختيار اسم مجموعة العائلة في تطبيق واتساب: "أسرتي الحبيبة.. أنا الآخر"، إلى اختزال أسماء أبنائه في عبارة شعرية مؤثرة.
كما تُحدثنا عن قرارها تسمية ابنها الثاني "زياد"، تكريمًا لوالدها وتعبيرًا عن الامتنان لإرثه الإنساني الغني، إلى جانب رسالة حبٍ صادقة تسطرها بكلمات تحمل تقديرًا لا يُقاس.
بين السطور، يتجلى لنا جانب جديد من الدكتور زياد الدريس، الجانب الذي لا تُوثقه المناصب أو الإنجازات، بل تعكسه علاقات الحب والانتماء التي زرعها في أسرته.

زياد الآخر

*عرف المشهد الثقافي السعودي والدك الدكتور زياد الدريس، بوصفه صاحب مسيرة مميزة تركت اثرا كبيرا في العديد من الجوانب الثقافية والصحافية والتربوية، وبوصفك ابنته فقد كنت شاهدة على جانب إنساني مختلف منه كأب. كيف تصفين هذا الجانب؟ ما تأثير مشواره الثقافي المتنوع على نظرتك للحياة؟

-والدي دائمًا يجد طرقًا مبتكرة لخلق روابط عائلية قوية، ومن أجمل الأمثلة على ذلك هو اختياره لاسم مجموعة العائلة في واتساب: "أسرتي الحبيبة.. أنا الآخر". هذا الاسم يعكس روح الوحدة والانتماء التي يحرص والدي على غرسها فينا، فهو يعتبر كل فرد منا امتدادًا له. كما أن والدي لديه قدرة مميزة على التعبير عن حبنا بطرق فريدة، مثل الجملة التي كتبها والتي تجمع أسماءنا: "نور الثريا في العلياء منيرة"، هذه الكلمات ليست مجرد وصف لأسمائنا، بل تجسيد للعلاقة القوية التي تجمعنا كأسرة.

اختيار اسم زياد

*اختيارك اسم والدك ليكون اسم ابنك الثاني يحمل دلالات عاطفية وإنسانية عميقة، فماذا يمثل لك اختيار اسم زياد ليكون اسم ابنك؟ اعرف ان مفاوضات شاقة جرت بينكما انتهت بالموافقة على هذا الاسم. حدثينا عن هذه المفاوضات الحميمة؟

-اختيار اسم "زياد" لابني الثاني كان قراراً نابعاً من أعماق قلبي. أردت أن أظهر مدى تقديري وحبي لوالدي. لم يكن هذا مجرد اختيار اسم، بل رسالة امتنان لكل لحظة ضحى فيها من أجلنا. اسمه يحمل إرثه العائلي والإنساني، وكلما نطقنا به، تذكّرنا تأثيره العميق في حياتنا. أتمنى دائمًا أن يكون معنا جزء من والدي ينعكس في ابني بكل ما قدمه لنا من حب وعطاء.

رسالة لوالدي

*إذا أتيحت لكِ الفرصة لتوجيه رسالة شخصية لوالدك من خلال هذا الملف، فما هي الرسالة التي توجهينها اليه؟

-والدي الغالي،

وجودك في حياتنا نعمة لا تقدر بثمن. لقد علمتنا معنى الحب، التضحية، والتمسك بجذورنا وهويتنا. شكرًا لأنك دائمًا "الآخر" الذي يجعل كل واحد منا يشعر بأنه الأول. أحبك وأفتخر بأنني ابنتك.

زياد الدريس.. المستحيل الأبيض!

شهـــادات

خالد الباتلي*

أول مـرة تعرفـت فيهـا على الدكتور زياد الدريس، كانت على صفحـات مجلة اليمامـة في آخر الثمانينات الميلادية، في الصفحة الأخيـرة من مجلة اليمامة.. كانت تلك الصفحة أشبه بوسام الشرف والامتيـاز لـكل كاتب أن تسـكن حروفه سطورها وأعمدتها..

كنـت أراه في بعض المناسـبات الثقافية خاصة التـي في جامعة الملك سـعود، حيث تخـرج منها كيميائيـا وكنـت مـا أزال أدرس الرياضيات فيها...!

تخصصـه فـي الكيميـاء منحـه المهـارة فـي ضبـط المقاديـر وصناعـة التفاعـلات وكتابـة المعادلات، وسمحت له بالتعامل جيـدا مع الانفجـارات التي تحدث حواليه!

وعندمـا عمـل فـي بنـك الدم، كانت فرصة ليختبـر دماء الناس كيف هـي...؟، ليعرف بعدها كيف يحللها ويعرفها جيدا...!

تشـعر أن كل شـيء يحدث معه، وكـأنه يؤهله لشـيء ما، يحتاج لاستعداد وخبرة من نوع خاص..

فـي عـام 1417 للهجـرة جاءني اتصـال من رقـم لا أعرفه، وكان علـى الطـرف الآخر زيـاد بصوته وكلماته، يعـرض علي الانضمام لمجلة المعرفة التـي قرر معالي وزيـر التعليـم الدكتـور محمـد الرشـيد رحمه الله إعادة إصدارها واختـاروا زيـاد الدريـس رئيسـا لتحريرها..

وهذا هو زيـاد لا يخطو كخطوات أي أحـد.. عندما يكتب وهو لازال يافعـا، يختارون لـه مكانا يحلم من شاب شعره وقلمه أن تسكن حروفه هـذه الزاوية، وعندما جاء لصاحبة الجلالـة الصحافة، جاءها متوجا بكرسي الرئاسة...!

كانـت تجربتـي معـه فـي مجلة المعرفـة حكايـة لـن تنسـى، ومسـار أكاديمي ومهني ننافس فيها أقسـام الاعلام بالجامعات، معـه تعلمنـا صياغـة الاعـلام المتخصـص، وكيـف نجعـل من الاعلام الرسـمي اعلامـا مقروءا، وكيف نجعـل الفنـون الصحفية تعيـش الابـداع والامتـاع مـع التقليديـة والرسـمية المحضة.. فيها سـبقنا الجميع في التواصل الحضـاري والفكـي والتعايـش السـلمي مع الرأي والـرأي الآخر، فيها صنعنا ملفات صحفية كانت حديث الوسـط وتقديـر القيادة، بل وتـم ترجمتها للغات متعددة ليعـرف العالـم مـن نحـن فكرا وتجربـة من خلال سـيدة الكلمة "المعرفـة"، فيهـا جعلنـا الكل يحتار في تصنيفنـا، ليبراليين أم محافظيـن، وكان كل تيار يدعي وصـلا بها، وهي لا وصـل لها إلا بالحكمة ضالة المؤمن...!

كانـت تجربـة زيـاد الدريس في مجلـة المعرفـة محطـة مهمـة ومتميزة في مسـيرته الإعلامية، حيـث تولـى فيهـا دور رئيـس التحريـر، وهـو الدور الذي سـمح له بتوجيه محتوى المجلة وإثرائه برؤية ثقافية وفكرية عميقة. من خـلال مجلة المعرفـة، عمل على ترسـيخ الثقافة والمعرفة كقيمة أساسـية في المجتمع السعودي، وجعلهـا منصة لتقديـم مقالات ودراسات ثرية تناولت موضوعات متنوعة، بدءاً من التربية والتعليم وصولاً إلى الفكر والثقافة.

ولعـل أبرز ما ميّز مسـاهمة زياد الدريـس في مجلـة المعرفة هو حرصـه علـى تطويرهـا لتكـون وسـيلة لإشـعال شـرارة الحـوار الفكـري والتبـادل الثقافـي بين الكتاب والمثقفين داخل المملكة وخارجها. تحت قيادته، استقطبت المجلـة أقلامـاً بارزة، وشـهدت ازدهـارًا فـي محتواهـا الفكري، فأصبحـت مرجعـاً مهمـاً للقراء والباحثين والمثقفين.

كانـت مجلـة المعرفة بالنسـبة لزيـاد الدريـس أكثر مـن مجرد منصة صحفية؛ بل كانت رسـالة سـامية للتنويـر الثقافـي، ونجح من خلالها في تعزيز دور الإعلام كأداة لنشـر الوعي وتكريس حب القراءة والاطلاع.

حكاية مجلة المعرفة تسـتحق أن تدون وتحكى للأجيال، كنا نتباهى بقصـة مجلـة المنهـل ودورهـا فـي المشـهد الثقافـي المحلي، وجـاء الـدور لنحكي مـاذا قدمت "المعرفـة" للإعلام مـن نموذج صحفي استنسخه الجميع بعدها، وما اسـتطاعوا العتـق منها، بل

أقولها وبكل فخر ألا أحد يستطيع أن يأتي بشيء لم تأت به المعرفة المجلة، لإنها أتت بما لم يأت بها الأوائل وأزيد ولن يأتي به الأواخر...!

في مسيرته مع المعرفة، لم ينس زياد أن يجدد من نفسه ويتناسى أنه في القمة، فاختار أن يكمل الدراسات العليا في روسيا، واختياره لروسيا دلاله على شخصيته التي لا تعرف لها معادلة ولا وزن قافية، بل هو التفرد والتميز بشيء لا يتكرر كثيرا...!

أثرت تجربة زياد في روسيا عليه بشكل عميق، حيث عاش هناك مرحلة مهمة من حياته الدراسية وأتاحت له هذه التجربة الانفتاح على ثقافة مختلفة وتجربة العيش في مجتمع يتميز بتنوعه الفكري والاجتماعي. كما منحته روسيا تجربة ثرية في فهم الآخر، وأثّرت على نظرته للعالم وتصوراته حول التواصل الثقافي والحضاري.

في روسيا، تعرّف الدريس على العمق الفلسفي والأدبي الذي يتميز به الروس، ما أكسبه تقديراً للثقافة الأدبية والفكرية الروسية، خصوصاً فلاسفة السيسيولوجيا وأخواتها، الذين أثروا على تفكيره وأسهموا في صياغة رؤاه حول الأدب والمجتمع والفكر. هذه التجربة جعلته أكثر انفتاحاً على مفهوم التنوع الثقافي والتفاعل مع الثقافات المختلفة، ما أسهم في تكوين شخصيته ككاتب وأكاديمي يجمع بين الثقافة المحلية والانفتاح العالمي.

كما أثرت هذه الفترة على قدراته في الحوار وفهم الآخر، إذ تعلّم في روسيا أهمية التواصل الدبلوماسي والثقافي، وعمق الصبر والانفتاح على النقاش. لاحقاً، لعبت هذه القيم دوراً جوهرياً في نجاحه كممثل للمملكة لدى اليونسكو، حيث كان عليه أن يعبر بصدق عن ثقافة بلاده وأن يسعى لفهم الثقافات الأخرى بتفانٍ

الروس حكايتهم مع زياد ممتدة، من ذلك الطبيب الروسي الذي جعل قدمه معلقة لعام كامل، منحه بعدها أجمل خطوه وأكثر خطى في الميادين، وبعدها جاء الروس لعقله فمنحوه أبجدية جعلته يركض عنا بعيدا، ليصبح زيادوف حينا وزيادوتسكي حينا آخر!

بعد عشر سنوات من العمل في مجلة المعرفة تقريبا، حانت لحظة وداعه مهنيا، حيث تم ترشيحه للعمل باليونسكو كممثل للمملكة فيها، وكأن كل شيء كان يعده لهذا المكان، وأظنه ذهب وهو في أربعين وقد بلغ من الأشد أشده وأجمله وأكثره قدرة على صناعة مجد جديد ثقافيا وإعلاميا!

كانت باريس محطة استثنائية في حياة زياد الدريس، حيث مثل المملكة العربية السعودية لعدة سنوات في منظمة اليونسكو. أتاحت له باريس فرصة العيش في قلب الثقافة الأوروبية، حيث تتقاطع العقول والأفكار من مختلف أنحاء العالم، مما منحه نافذة على تنوع ثقافي ومعرفي عميق.

في باريس، أدرك الدريس قوة الدبلوماسية الثقافية وأثرها في مد جسور التواصل بين الشعوب. لقد عايش في هذه المدينة روح الانفتاح والتعددية، وتعلّم كيف يعبّر عن الثقافة السعودية بروح عالمية، توازن بين الاعتزاز بالهوية الوطنية والانفتاح على الآخرين. هذا الموقع الفريد مكّنه من تقديم صورة ثرية عن المملكة، تتجاوز الصور النمطية، وتجعل من الثقافة والتراث السعودي عنصرين مهمين في الحوار العالمي حول قضايا مثل السلام والتفاهم بين الحضارات.

كما أتاحت له باريس، بحضارتها العريقة وفنها الرفيع، إلهاماً إضافياً في أسلوبه الكتابي، ليجمع بين العمق الثقافي والبساطة الجذابة. تعلّم الدريس في هذه المدينة كيف يُحاور بثقة وثبات، وكيف يصنع من النقاش الثقافي منبراً للتقريب بين الشعوب. انعكست هذه التجربة بشكل واضح على كتاباته، التي أصبحت تجمع بين رؤيته الخاصة وثقافته الواسعة، مما جعله صوتاً يعبر عن المملكة على الساحة الدولية بفاعلية واحتراف.

بهذه التجارب، باتت باريس تمثل جزءاً من مسيرة زياد الدريس في نقل رسالة وطنه وتقديم نموذج مشرق للدبلوماسية الثقافية، حيث ساهمت في صقل رؤيته لتكون أكثر عالمية وشمولية، وهي رؤى لا تزال تترك بصمتها حتى اليوم.

أذكر حينما زرته في باريس وقضيت يوما كاملا معه، كنت ابتسم له وأقول بعد أن كان يجمعنا "فوال الأفراح" ونتناقش في عددنا الجديد، أصبح الكروسون والقهوة الفرنسية عنوان حديثنا للتأصيل الثقافي والعولمة بكل تحولاتها!

زياد الدريس، اسم يضيء في سماء الثقافة والتعليم والإعلام السعودي، وأحد القامات الوطنية التي كرّست نفسها لخدمة المملكة العربية السعودية وإعلاء صوتها على الساحة الدولية. عاش زياد الدريس مسيرة مهنية متميزة مزجت بين العلم والفكر، وبين الإبداع والعطاء المستمر، جاعلاً من اسمه مرادفاً للالتزام الوطني والنشاط الثقافي.

عندما استعرض رحلة زياد الدريس المهنية التي كنت شاهدا عليها من قريب أو من بعيد، أجدها تزينت بتأسيسه لقاعدة صلبة من القيم والمعرفة، حيث عمل بجد واجتهاد في تطوير رؤيته الشخصية تجاه دور التعليم والثقافة في نهضة المجتمع. ومنذ بداياته، أدرك أن المعرفة هي مفتاح التنمية والتغيير، فعمل على تعزيز دوره كرسول للثقافة السعودية، ليس فقط على المستوى المحلي، بل امتد تأثيره ليشمل المحافل العالمية.

حيث كان له دورٌ بارز في الساحة الدولية من خلال عمله كممثل دائم للمملكة لدى منظمة اليونسكو. وفي هذا الدور، سعى جاهداً إلى إبراز المملكة كداعم أساسي للسلام والتعاون الدولي، حيث عمل على إبراز إرثها الثقافي، وتعزيز تواجدها على الخارطة الثقافية العالمية. بفضل حكمته وحنكته، استطاع الدريس أن ينال احترام وتقدير العديد من الدول والأفراد، وأن يحظى بإشادة واسعة على التزامه بنقل صورة حقيقية ناصعة عن السعودية.

لم تقتصر إسهاماته على العمل الدبلوماسي والثقافي فقط، بل كان له حضورٌ مؤثر في مجال الإعلام أيضاً. حيث ساهم من خلال مقالاته وكتاباته في تعزيز الفهم العميق للقضايا الثقافية والمجتمعية، مقدماً رؤىً تحليلية تمتاز بالعمق والدقة. مقالاته تنبض بالفكر المتزن، وتتسم بالأسلوب البليغ، وتعكس قدرته على ملامسة قضايا جوهرية تمسّ المجتمع.

ولا أنسى أن كون الدكتور زياد الدريس ابنًا للأديب والشاعر السعودي الراحل عبدالله بن إدريس كان له دور جوهري في تشكيل شخصيته ورؤيته الثقافية. نشأ في كنف والدٍ مثقفٍ وأديبٍ من جيل رواد الأدب السعودي، مما جعله يتشرب منذ الصغر أجواء الأدب والشعر ويكتسب حساً مرهفاً بالكلمة والمعنى. لقد نشأ زياد على حب القراءة والكتابة، واكتسب من والده عبدالله بن إدريس تقديرًا عميقًا للأدب العربي والتراث الثقافي السعودي، وقيم الانتماء للأصالة دون إغفال أهمية الانفتاح على العالم.

وجود والد مثل عبدالله بن إدريس، الذي يعد رمزًا أدبيًا وثقافيًا، ألهم زياد الدريس ليكون صاحب رسالة، وليعمل على تحقيق بصمة شخصية تستند إلى إرث عائلي من القيم الفكرية والالتزام الأخلاقي. كان لذلك الأثر العميق في رحلته المهنية.

خط زياد الدريس الكتابي والفكري يتميز بالعمق والتحليل، ويجمع بين الأسلوب الأدبي الرفيع والتناول النقدي المتزن. يعتمد الدريس على الوضوح والبساطة في الطرح، ولكن دون التضحية بالغنى الفكري، ما يجعله قادرًا على إيصال أفكار معقدة بشكل سهل وممتع للقارئ. يمزج في مقالاته وكتاباته بين الأدب والثقافة والسياسة بأسلوب يحفز على التأمل ويثير التساؤلات، مبتعدًا عن الخطاب المباشر أو الدعائي.

أحد أبرز ملامح خطه الفكري هو اهتمامه بالدبلوماسية الثقافية والحوار بين الثقافات. يتبنى الدريس رؤية تؤمن بأهمية الانفتاح على العالم، لكنه في الوقت ذاته ملتزم بالاعتزاز بالهوية والثقافة السعودية. هذا المزج بين المحلية والعالمية هو عنصر محوري في فكره، حيث يسعى دائمًا إلى تقريب القراء من قضايا عالمية معقدة، ويحرص على أن يبرز الجانب الإنساني المشترك.

كما يظهر في خطه الفكري تبنيه لقيم التفاهم والتعايش، فهو يرى أن الثقافة والفكر يمكن أن يكونا جسرًا لتعزيز السلام بين الشعوب. ومن هنا، تبرز اهتماماته بالتربية والتعليم، حيث يؤمن بدور المعرفة في بناء جيل واعٍ وقادر على التأثير الإيجابي

كعادتها مجلة اليمامة جمعتنا بزياد الدريس وعرفتنا عليه وقالت لنا "هاؤم اقرؤا حرفه", تأتي اليوم لتمنحنا الفرصة لنقول له: شكرا على كل ما قدمت لي شخصيا وما قدمته للإعلام والثقافة والمجتمع من خبرات ومهارات جعلتنا في مكانة أفضل ومنحتنا القدرة لنفعل شيئا يستحق أن ينتمي لمدرسته الإعلامية.

*مستشار اعلامي

العدد 2837 - 05 - ديسمبر - 2024

الطفل الخجول الذي كان يختبئ في مشلح والده!

حمد العسعوس الخالدي

- كان أصغر طفل رأيته وعرفته، وهو يكبر ويصعد إلى النجومية بسرعة عجيبة ومذهلة...!
- يبدو لي أنه كان طفلاً خجولاً، ولهذا فقد كان في طفولته يختبئ في مشلح والده حياءً من الناس.
- قال لي مرة أنه كان يحضر مع والده بعض الفعاليات والاحتفالات التي تُقام في النادي الفيصلي بحرمة أواخر التسعينات الهجرية، وأنه كان معجباً بمشاركاتي فيها، ويتمنى لو يحظى بشرف السلام علي، وأنا لم أكن أراه.
- تواصلت مع والده وتعرفت على إخوانه في وقت مبكر، وكنت أتذكرهم جميعا، ما عدا هذا المختبئ الذي ظهر لي فجأة كعفريت من الجن، وهو يشغل منصب رئيس تحرير مجلة المعرفة الصادرة عن وزارة التعليم، ويدير شؤونها بصورة ملفتة، ويطلب مني النشر فيها...!
- وفجأةً سمعت أنه جاء يحمل بين يديه شهادتي الماجستير والدكتوراه من جامعة موسكو...!
- وفجأةً أصبح المندوب الدائم للمملكة العربية السعودية لدى منظمة اليونيسكو بباريس، وسفيراً للسلام، ومؤسساً لاحتفالية اليوم العالمي للغة العربية بالمنظمة...!
- وفجأةً تحول إلى كاتب ومؤلف مرموق ينشر الكثير من المقالات، ويصدر العديد من المؤلفات...!
- وفجأةً أصبح عضواً وعضواً مؤسساً للعديد من اللجان والمجالس والهيئات الثقافية والتنموية...!
- وفجأةً أصبح رئيس أمناء مركز عبد الله بن إدريس الثقافي الذي أسسه باسم والده بعد وفاته - يرحمه الله، بالتعاون مع أشقائه الكرام...!
- بسم الله ما شاء الله.. من أين وكيف ومتى خرج إلينا هذا الطفل المعجزة الذي بهرنا بسرعة، وتجاوزنا في كل شيء بسرعة...؟!
- أنا أعتقد أنه لم يمر بمرحلة المراهقة، بل قفز من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الكهولة التي يبدو فيها الإنسان قائداً جاداً ومنتجاً في كل مكان يوجد فيه، وكل عمل يُسند إليه.
- من أبرز صفاته التي أعرفها عنه أنه رجل دائم الابتسامة، وأنه، برغم جديته وكثرة مشاغله، يتحلى بالكثير من التواضع واللطافة والنقاء والوفاء والوسطية والاعتدال في تديُّنه ونظرته للناس والحياة.
- ذلكم الطفل المعجزة الذي كبر بسرعة وسبقنا وسبق زمنه، وحقق كل تلك الأهداف الكبيرة وحصل على عدد من الجوائز والأوسمة في وقت وجيز هو الصديق العزيز سعادة الدكتور زياد بن عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس - زاده الله نجاحا وتوفيقا، وأكثر من أمثاله.

ما يُشْبَهُ ثرثرةً زهيدة.

عبدالمحسن يوسف

1

القصيـدةُ الفاتنةُ وليدةُ هاجسٍ صغيـرٍ أو وَجَلٍ غامض.. بسـيطةٌ كاضطـرابٍ واضحٍ في شـؤونِ القلـب، وصادقةٌ كدعاءِ مَنْ يوشكُ على الغرق.

2

فـي كل ليلةٍ، يحدثُ هـذا بعد أن نغفو: تلك الشـخوصُ التي تسكن الكتبَ التي في مكتبتي تخرجُ للنزهةِ في أرجاء البيت، تسهر، تتهامس، تمرح، ترقص ، تتنفس، تضحك، تشـع، تبوح، تفوح، تتذكر، تحلم، تسخر، تتحاور، تتعانق، تغـرق في الدعابة، و تؤثث بيتنا الغافي بالحركة والدفء ومباهجِ الحياة.

3

عندما كنتُ طفلًا كنتُ أحتسي حليبًا دافئًا من شياهِ القريةِ.. نعم لقد كنتُ أشاطرُ تلك الجداء الصغيرة ضروع الأمهات لهذا كنتُ في لحظاتِ التجلّي العالي أو في لحظاتِ البهجةِ النـادرة أخاطبُ هذه الجداءَ هكذا: مرحبًا، مرحبًا أشـقائي الأعزاء.

4

في طفولتي الحافية، كنتُ في الليل شغوفًا بتأملِ السماء. السـحب -وتحولاتها تحديدًا- كانت تخلبُ لبّي: هذه بقرة بضرعيـن مثقليـن بالحليـب، ذلك ديك بمنقـار عريض وعرف مشرئب وغطرسة عالية، وثمة شجرة فارهة يتثاءبُ تحتهـا راعٍ مجهد...الخ.. في ذلـك الزمن الحافي، في تلك الطفولة النّاحلة، كانت سـماء قريتنا الغارقة في هواجس الليـل تقوم بالمهـام التي تقوم بها السـينما في المدنِ البعيدة.. إنَّ سماءنا تلك لجديرةٌ بأنْ تُوصَف بهذا الوصف الجليل: " سينما الفقراء ".

5

لسـتُ أدري لماذا حـدثَ هذا: فجأةً تذكـرتُ قصةً قصيرةً جدًا كتبها طفلٌ صيني، قرأتها منذ سنوات: أحدهم أضاع مفتـاح بـاب البيت.. ذهـب يفتش عنه فـي كل الأماكن، الأماكـن البعيدة تحديدًا، لدرجـة انه أنفق الليل كله وهو يفتش عنـه لكن من دون جـدوى ...في الصبـاح - حين أضنـاه البحث - عـاد إلى البيـت ذابلًا كـوردة.. من فرط التعب أسند ظهره إلى الباب قليلًا كي يستريح، وإذْ بالباب " ينفتح " بهدوءٍ تام!

6

" أحدهـم " حين علم أني قرأت رواية " الطريق إلى عين حـارود" لعاموس كينـان، نهرني بحدّة: كيـف تقرأ لهذا الصهيوني البغيض؟ وأضاف بغضبٍ بالغ: " يبدو إنك مع التطبيع وإنك مع المهرولين ".. طبعًا أنا لست مع التطبيع ولسـت مع المهرولين.. وكل من عرفني معرفةً شخصيةً في الواقع أو قرأ لي فـي الصحافة يعلم هذا جيدًا ويعلم مواقفـي المبدئية المعلنة منذ سـنوات بعيدة.. لكني في الوقت ذاتـه لم أكن أعلم أن قراءة كتب الأعداء "جريمة" يسـتحق فاعلها التقريع والإدانة والفتـك. ولهذا - وقبل أن يكمل كلامه - قلت له في هدوء: قبل أن تلومني على القراءة لُمْ سـميح القاسم - الشاعر الفلسطيني المعروف - الـذي رعى الكتاب والترجمة وكتـب مقدمةً ضافيةً عن الرواية!

7

بصراحةٍ أقولُ من دون تردد: حين قرأتُ نصوص "السيرة الشـعرية" للدكتـور عبدالوهـاب المسـيري، قرأتُها على مضـض؛ ليس ثمة شـعر، وليس ثمة متعـة - وإن حاول طلاء هذه النصوص بالموسـيقى أحيانًا فهي موسـيقى منزوعـة الوهج. بإيجاز أقول: هنا في هذا الكتاب أناشـيد ساذجة شبيهة بتلك الأناشيد المدرسية الجافة التي تقلّدُ حطبًا.. بلا روح، بلا شموس، ولا تلمس القلب..
ترى من أقنع " الأسـتاذ " الكبير بأنَّ هذا الذي كتبه شعرٌ؟ ومن أقنعه بجمعه وإصداره في كتاب؟

8

كانت لديَّ نسـخة قديمة من رواية " الفراشة " للفرنسي هنري شارييـر، طارت وحلقت ووصلت إلى أيدي الكثير من الأصدقاء، ولم أعدْ أدري على أيِّ غصنٍ حَطَّتْ أخيرًا، وعند أيٍّ منهم اسـتقرَّ بها المقـام.. حين يئسـتُ من عودتها

اشتريتُ نسخةً جديدة.. بعد سنوات فوجئتُ بصديقي الشاعر الجميل رياض سهيل يخبرني قائلًا: إنها الآن تتوهج بين يديه في "جزيرة فرسان"، ولربما تطيرُ مرةً أخرى إلى غصنٍ صديقٍ آخر... الآن علمتُ سببَ طيرانِ هذه الروايةِ من يدٍ إلى أخرى.. إنه الجمال، ذلك الذي يستمر في الجريانِ كنهرٍ لا يتوقف.

9

أحيانًا نصادفُ في واقعنا الاجتماعي وفي شوارعِنا النحيلةِ الضيّقةِ أبطالًا حقيقيين كأبطالِ أهمِّ الرواياتِ العالميةِ التي قرأناها وخلبَتْ ألبابَنا.

في "جزيرة فرسان" مثلًا، ثمة أشخاصٌ بسطاء رائعون، هم - من دون ريب - أبطالُ رواياتٍ تمشي في شوارعِ الجزيرة.. هنا أتذكر أحدَهم، كان يتقنُ العزفَ على آلةِ العودِ ببراعة وكان شغوفًا بالغناء خصوصًا في تلك الأعراسِ البسيطةِ التي تلمسُ القلب.. هذا الفنان المغمور - بسببِ خيبةِ عشقٍ مريرة - أضحى يعيشُ منفصلًا عن الواقع.. ولستُ أدري لماذا كلما قابلتُهُ صدفةً تذكرتُ قصيدةَ محمد الفيتوري الشهيرة "معزوفة لدرويش متجول".

هذا العاشقُ الذابلُ كدعابةٍ قديمةٍ، ذات نهار حلق شعره تمامًا، وبدَتْ صلعتُهُ لامعةً تحت الشمس، ولكي يمعنَ في إضفاءِ مزيدٍ من الغرائبية على المشهدِ دَهَنَ هذه الصلعةَ بصمغٍ وألصق بها حمامةً بيضاء، وراح يمشي متهاديًا في الطرقات، وكلّما مشى كانتِ الحمامةُ المذعورةُ هذه ترفرفُ مثل رايةِ استسلامٍ بائسٍ أو هزيمةٍ مخزية.

10

فيما يخصُّ مشاهداتي السينمائية، تروقُ لي تلك الأفلامُ التي تتكئ على "السيرة"، وهي في الغالب سيرةٌ طويلةٌ عامرةٌ بالأحداث والتحديات والجسارات، ومكتظةٌ بأنفاس الحياة أو سطوة الموت.. من هذه الأفلام مثلًا: "غاندي"، " مانديلا "، "هتلر"، "مالكولم إكس"، "ستيفين هوكينغ" ...الخ، كما تروق لي تلك الأفلام الوثائقية الرشيقة ذات المشاهد البارعة، الحميمة، الدافئة والقريبة من الروح، المكتوبة بلغة عالية، وذات رهافة في الأسلوب، خصوصًا تلك التي تتناول سيرةً مليئةً لكاتبٍ أو مفكرٍ أو موسيقارٍ أو نحّاتٍ أو فنّانٍ تشكيلي ...الخ ، مثل "ماركيز" ، "فان جوخ" ، "نجيب محفوظ" ، إدوارد سعيد، الماغوط، بيكاسو ...الخ .. أرى - من وجهة نظري المتواضعة - إن هذا النوع من الأفلام رافدٌ ثقافيٌّ هائلٌ لنهرِ قراءاتِنا المتمهلة.

11

في عالمنا العربي ثمة أسبابٌ كثيرةٌ ساهمت في ذيوع الشخص على الرغم من خفوت النص، منها مثلًا الأيديولوجيا والإعلام المؤدلج وسطوة السياسة على الأدب وغلبة الشعار على الإبداع.. نعم ثمة أسماء لا تستحق ذلك الذيوع العريض الذي حظيت به، ولكن الآلة الإعلامية صنعَتْ من العابرِ نجمًا باهرًا ومن العمل الضئيلِ عملًا خارقًا...أقولُ قولي هذا وفي الذاكرةِ تضجُّ الكثيرُ من الأسماءِ والأمثلة. عندما نضج وعيي قليلًا، وعندما قرأتُ أعمالًا إبداعيةً رائعةً من جهات الأرض، اكتشفتُ الأكاذيبَ والزيفَ والتزييف في عالمنا العربي، ورَسَخَتْ في أعماقي قناعةٌ مفادُها: ثمة أسماءٌ لا تستحقُّ كلَّ هذا الذيوع وثمة أعمالٌ لا تستحقُّ كلَّ تلك الحفاوة.

12

بمناسبة الحروب الكلامية في الوسط الثقافي العربي بسبب جوائز الأدب، أطلقُ سؤالي هذا: هل الكاتب يكتب لعيون الجوائز أم لعيون الإبداع؟

على فكرة - وكما يعلم الكثيرون - ثمة كُتَّابٌ كبار على مستوى العالم رفضوا بجبينٍ عالٍ أهمَّ الجوائز وأكثرها قيمةً وشهرةً وغوايةً فيما هم يستحقونها عن جدارة.

13

في سياقِ حوارٍ طويل، قرأتُ رأيًا لأستاذةٍ جامعيةٍ " متخصصة " في النقد الأدبي، مفاده: إن لدينا الآن - أي في ساحتنا الأدبية المحلية - روايات تضاهي الروايات العالمية!!.. بذهولٍ وقفتُ عند هذا الرأي "المجاني"، وتساءلتُ: كيف لأستاذةٍ جامعيةٍ إصدار حكمٍ كهذا بهذه الخِفّة من دون أن يطرفَ لها جفن؟.. وأنا هنا لن أسألها هذا السؤال : هل لدينا روايات كروايات الساردين الكبار في العالم مثل "الإخوة كرامازوف" أو "الجريمة والعقاب" أو "الحرب والسلام" أو "دون كيخوته" أو "موبي ديك" أو "رجل من هذا الزمان" أو "الدون الهادئ" أو "المسخ"- وفي ترجمةٍ أدق "المتحوّل" - بل سأسألها عما دون تلك العلاماتِ السردية شهرةً أو ذيوعًا ، هكذا: هل حقًا لدينا رواية مثل "الفراشة"، "ليلة لشبونه"، "زوبك"، "الطريق الوحيد"، "ميميد الناحل"، "العمى"، "النفق" ، "الأشياء تتداعى"، "خِرْبي" ، "مضى عهدُ الراحة"، "باهيا"، "السيد الرئيس"، "مكان سلوج الخالي"، "شعائر الجنازة"، "أرجوحة النفس"، "جسر على نهر درينا" والقائمة تطول طبعًا ؟

القراءة والكتابة بصفتهما جناحين.

محمد حبيبي*

لطالما سألت نفسي لماذا الكتابة ولماذا أكتب؟!
الكتابة بداية مرآة للنفس والروح، أفرّغُ بها كل ما يعتمل داخلي من مشاعر.. ومثلما أن الاغتسال للجسد يخلصه من كل العوالق فيعود بعدها لحيويته، كذلك الكتابة تخلص النفس من كل ما يعلق بها من تراكمات المواقف والحالات اليومية، الكتابة تدربك على وضع أفكارك ومشاعرك أمامك على الورقة أو الشاشة البيضاء..
الخواطر التي تظل أفكارًا مجردة في ذهنك تتحول إلى سرب محسوس من الكلمات والجمل والأسطر التي تتنامى أمامك.
الكتابة عن ذاتك لذاتك في لحظة من الزمن تشبه صورة "السيلفي" أو مقطع الفيديو الذي تصور فيه نفسك في لحظة مقتطعة من عمرك لن تتكرر!! قد تعجبك فيها ملامحك في البداية وقد لا تعجبك فتعود لتأخذ صورا أخرى تحاول فيها تغيير الملامح والزوايا، كذلك الكتابة قد تكتب ما تراه في البداية على أنه فكرة مدهشة ثم تعود إلى ما كتبت وتجده كلاما عاديا مألوفا؛ وقد تجد فيه ما هو أقل من ذلك، لكن هل تخيلت كيف سيكون انطباعك عن هذه الكتابة بعد خمس سنوات وأكثر، إنها تشبه العودة لأرشيف صورك في الطفولة والمراهقة، لن تتذمّر من الزوايا المناسبة التي لم تتخذها في لحظات التقاط تلك الصور؛ كذلك الكتابة، لن يكون تذمرك منها بعد سنوات كما هو عليه في اللحظة التي قررت فيها محو وحذف كل ما كتبته عن نفسك. لأنك ستستعيد فيها لحظات من حياتك كنت قد نسيتها.. لذلك أحتفظ بها في مكان ما من إرشيفي.
إذا لم أكن قد قمت بنشرها.. والتفكير في النشر والقراء وردود أفعالهم في تصوري هو مستوىً ثانٍ يتلو مستوى التخلص من الكتابة لذاتك عن ذاتك بصفة الكتابة مرايا للروح والنفس، وسبورتك الخاصة التي تظل ملكك وحدك تمحو وتكتب ما تمليه عليك لحظتك الخاصة تلك.
تجابهك مواقع التواصل بعبارات "فيم تفكر؟! أو "ما الذي يحدث؟!"
غالبا ما أتصفح مواقع التواصل، ولا تستدرجني عباراتها تلك للكتابة!!!!
فأعود لاستكمال قراءة كتابي الذي أقرأه وهو أثناء الشروع في هذه الكتابات كتاب المكان ل الروائية الفرنسية آني أرنو، التي تجسد خطا فنيا في الكتابة السردية المعتمدة على "الواقعية الصادمة" بجرأة شديدة في مكاشفاتها فهي تكتب كتبها منطلقة من وقائع مستلة من حياتها.
كتاب "المكان" عبارة عن مذكرات شبه أسبوعية كانت تكتبها بعد زياراتها لأمها المقيمة بدار للمسنين.
كتابات أرنو جدّ قاسية في حدة واقعيتها عامةً؛ لكنها في مذكراتها تدون كثيرا من التفاصيل التي قد لا يجرؤ عليها الكثير من الكتاب.. وذلك ما فعلته بتحييدها للعاطفة كثيرا في رصدها لتحولات أمها الجسدية والنفسية وعلاقتها بها منذ كانت طفلة وصولا إلى آخر ثلاث سنوات من عمر أمها. وليس المقصود هنا بتحييدها للعاطفة أن كتابتها لم تكن تخلو من المشاعر، فهي قد دونت لحظات فرح وبكاء واستحضار لذكريات ماضية؛ لكن حيادها هنا يكمن في تخلصها من عاطفة تأنيب الضمير كون من تكتب عنها هي أمها؛ وينبغي إظهارها في أفضل حال. غير أنها لم تفعل ذلك في عدد من التفاصيل بما في ذلك تصوير حالات العجز الإنساني "لكبر السن ومرض الزهايمر" في أوضاع تشريحية أقل ما يمكن أن توصف به أنها فضائحية عن مواقف مزرية "وذلك بفعل تحييد الكاتبة للمؤثر العاطفي فلم تقم بممارسة غض النظر والتجاوز عن كل ما يفترض أنه من المستحسن تأدبا أن يكون من المسكوت عنه، بل كانت كمن تكتب بعدسة كاميرا متعمدة تجاهل أنها بالنهاية تكتب عن "الأم".
لا تكاد تمضي صفحة دون أن أتذكر جدتي التي عاشت مثل تلك المرحلة التي رصدتها آني آرنو عن أمها.
أعود بعد هذا الاستطراد عن كتاب المكان لآني أرنو إلى موضوعي الرئيسي وهو العنوان الذي وضعته لكتاباتي "الكتابة والقراءة بصفتهما جناحين" وكنت قد تحدثت عن بواعث ودوافع الكتابة لديّ وانتهيت إلى أني أكتب بالدرجة الأولى عن ذاتي للتنفيس عنها، وكيف يكون لهذه الكتابات قيمة فيما بعد؛ لأنها على أقل تقدير توثيق للحظات من عمري وحياتي. ومن أكثر هذه اللحظات متعة حينما أعود لقراءة ما كتبته، وبخاصة في اليوم التالي، لأني أكون قد خرجت من حالة التأثر بما كتبت وأعود

لقراءته بشكل محايد تماما وكأني قارئ آخر.
لذلك عندما ذكرت أن الكتابة والقراءة جناحان، فالمقصود بذلك النظر إليها من جهتين. الجهة الأولى أن تعامل نفسك بصفتك قارئك الأول فأنت الكاتب/القارئ.
الجهة الثانية أن الكتابة/القراءة متلازمتان لدرجة كبيرة، من حيث الممارسة ولا يمكن فصلهما عن بعضهما بعض. فلا وجود لكتابة دون قراءة ولا وجود لقراءة من دون وجود كتابة.
القراءة تفتح آفاق الكتابة وبخاصة حينما تكون القراءة حرة للمتعة وليست من نوع قراءة البحث والاستذكار. ولذلك أعدّ اليوم الذي يمرّ عليّ دون أن أقرأ قراءة حرة ولو صفحة واحدة بأنه يوم مهدر من عمري.
عندما تقرأ ستجد حتما نقاط تواصل بين ما تقرأه وحياتك اليومية، على سبيل المثال لم تكن آني آرنو تكتب عن جدتي، بل عن أمها، لكني وجدت تفاصيل كثيرة فيما كتبته تتقاطع بشكل أو آخر عن حياة جدتي تقربني من فهم كثير من تصرفاتها وتعابيرها أكثر فأكثر. صحيح أني شعرت بالخجل ولم يرق لي تصوير أرنو بعض الحالات والأوضاع التي رصدتها بواقعية فوتوغرافية عن أمها لكني خرجت بفوائد وتقاطعات كثيرة من كتاب أرنو "المكان"
الرواية التي كنت أقرأها قبل كتاب المكان كانت رواية "الكهف" للبرتغالي جوزيه ساراماجو على الرغم من طولها فهي تقع 470 صفحة على عكس معظم كتب آني آرنو التي لا تتجاوز في الغالب الـ 100 صفحة.
وعلى الرغم من اختلاف أسلوب الكاتب الذي غالبا ما يضمن كتاباته مقاطع تحليلية يفلسف بها آراء أبطاله ومنظوراتهم "بما في ذلك فلسفة النظرة الكلبية" لتصرفات الإنسان!!! على الرغم من كل ذلك إلا أن الرواية كانت ممتعة لي في أيام العيد وخير رفيق مع أن شخصيات العمل محدودة فهي تقريبا ثلاث أو أربع شخصيات رئيسية إذا نظرنا للكلب بصفته إحدى الشخصيات المؤثرة والفاعلة في مسار أحداث وآراء أبطال العمل وهم "الأب عامل الفخار" وابنته وزوجها حارس الأمن في مركز المدينة وكلب العائلة. تتمحور بؤرة الصراع في الرواية بين القديم الآيل للزوال والانقراض "صناعة الفخار" بحكم المستجدات الحديثة المنتجات البلاستيكية. الصراع بين القرية الريف ومركز المدينة الذي يزحف على حساب تقويض الريف. مهنة وصناعة مضى عليها قرون تهددها مهن وصناعات وطرائق حياة جديدة.. وجدت نفسي في خضم هذه الصراعات بين القديم والجديد؛ وهي كثيمة موضوعاتية ليست بالجديدة في سياق موضوعات الأدب الحديث، وجدت نفسي منحازا لأحد طرفي الصراع وكيف سيعالج المؤلف ذلك الصراع وكيف سينهيه؟! هل ب الاستسلام؟! أم بالتشبث بالأمل، أم بالتمهيدات لكيفية التأقلم ومواكبة المستجدات.
وجدت أشكالا من هذا الصراع مجسدة في حياتي وحياة أسلافي ومن بعدي. المزارعين والرعاة والحرفيين الذين هجروا حرفهم وتحولوا إلى موظفين في المدن؟!

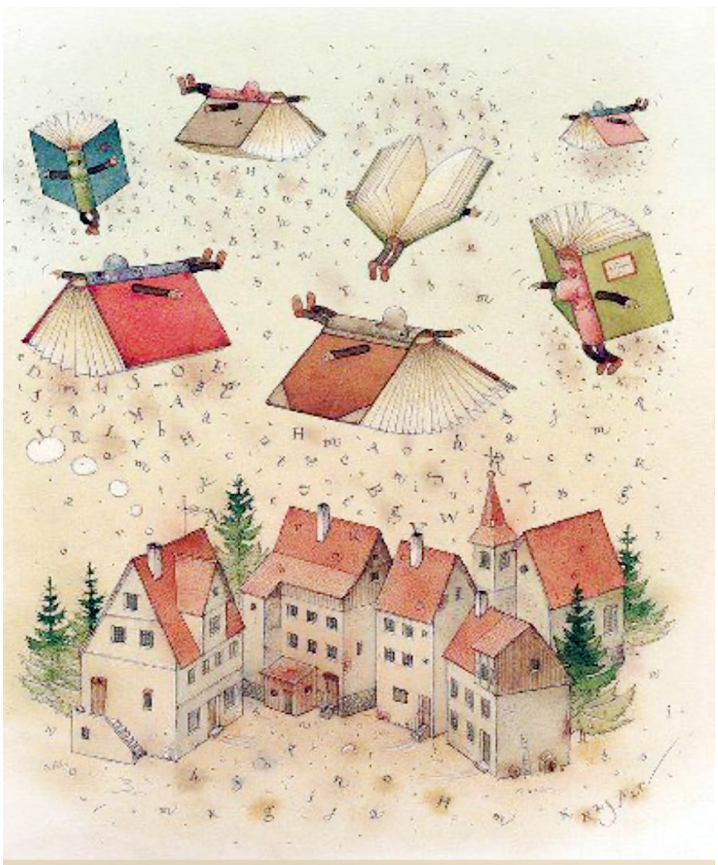

كل مناشط الحياة عرضة لذلك الصراع المتجدد.. فحتى ما كان جديدا في لحظة سيصبح قديما؛ وسيستجدّ الصراع نفسه بين مختلف الأطراف؟!!! حتى في الكتابة وأسلوبها الكتابة على الورق بالقلم والكتابة عبر التحول إلى الشاشات وفضاءات الشبكات ومواقع التواصل، الكتاب الاليكتروني والورقي. الأدب الرقمي المستجد، إصرار بعض الكتاب والأدباء على التمسك بعادات الكتابة كما عرفوها، كتابة بالقلم والأوراق. الصراع والاختلاف في نسق تفكير الأجيال داخل الأسرة الواحدة.
من هنا يبدو التقاطع والتلازم بين الجناحين الكتابة والقراءة.
فحتى أكثر حالات الكتابة المنطلقة من الذات سيجد فيها شرائح القراء حالات تتقاطع مع ذواتهم مهما اختلفت اللغات والبيئات والثقافات.

---

*شاعر وناقد
*هذا المقال في أصله مجموعة من الكتابات ضمن ورشة 100 يوم من الكتابة التي يشرف عليها الشاعر محمد الضبع.

«عمة آل مشرق» لـ أميمة الخميس:

لغة تتوسل الرمزية.. وبناء تاريخي محل جدل.

حامد بن عقيل

في العمل الجديد للكاتبة أميمة الخميس الصادر عن دار الساقي 2024 والموسوم بـ "عمة آل مشرق" يمكن الوقوف مطولاً أمام رمزية مكشوفة لعنوان الرواية، فمفردة "مشرق" تعني أننا أمام رمزية الشرق في مواجهة الغرب، قيم هذا مقابل قيم الآخر وأسلوب حياته، وهي الرمزية المقصودة، لكنها تأتي هنا على هيئة تقرير واضح لا تتناسب وطبيعة الفن الرمزية: "منذ غادرت ميناء نيويورك، أخذت عهداً على نفسي، أن أنجو من فخ المستشرقين، عندما يعرضون المعارف، والخبرات، والتجارب التي تصادفهم في الشرق، على جداول المركزية الغربية، ليتم تصنيفها وفهرستها وفق تصورات مسبقة عن الإنسان والكون، لكن عبثاً يبدو الأمر في غاية الصعوبة، المركزية مغناطيس هائل جبار، لفتى بالكاد يتلمس خطواته في هذا الدرب" (-205-206 النسخة الإليكترونية). هذه القصدية التي تجعل الرواية تتجه إلى التقريرية البحتة في كثير من فصولها والتي لا تتناسب مع عمل روائي فنّي، وقد ساعد على وجود هذه الصبغة التقريرية توسل الكاتبة إيجاد بُعد رمزي لم تنجح في توظيفه، كما في العنوان الذي جعلته بداية الكشف عن قصدية لم تبلغها، كما أكدت المعلومات التاريخية التي تم نقلها في ثنايا الرواية على جعلها وثيقة تاريخية أكثر من كونها عملاً فنّيا، إذ تبدو الحقائق التاريخية مجتلبة لم تستطع الكاتبة توظيفها بالشكل المناسب، فأوردتها على هيئة ملحوظات أو رسائل متفرقة، لكنها بقيت شذوذا كتابياً لا يتناسب مع بقية العمل، فروايات كأرض السواد لعبدالرحمن منيف، وسمرقند وليون الإفريقي لأمين معلوف وغيرها من الروايات هي الأنموذج الذي يمكن الاطلاع عليه للاستفادة منه، لأنها الأعمال التي تحوّل التاريخ إلى مشهدية درامية متناغمة وممتعة، لا إلى مجرد "إدخالات" تاريخية متنافرة تعمل ضد بناء الرواية فتهدمها من الداخل.

إلا أن الإشكالية الأكبر في رواية "عمة آل مشرق" تكمن في اللغة التي كُتبتْ بها، فقد اعتمدت تشبيهات واستعارات كثيرة غير منطقية، وحمّلتها أفكاراً أشدّ غرابة ومغالطة: "منذ عمق التاريخ، اليمامة والحجاز تتبادلان مركزية جزيرة العرب، ومحطات طرق الحج وقوافل البخور، القادمة من عمان واليمن، هي مثلث درب القوافل؛ مكة، اليمامة، وبالميرا. في فترة ما، فاز الحجاز بممر قوافل الشتاء والصيف، وأسس عبر السطوة الدينية مركزية أبدية، قلبها الكعبة، لكن يبدو الآن أن يمامة بني حنيفة، تستعيد هذه المركزية بيسر عبر نبع الوفرة السياسي، الذي يغذيه النفط" (-495-496 النسخة الإليكترونية)، ففي هذا المقتطف من الرواية نجد أننا نقف أمام لغة هشّة، تبدأ بمصطلح "عمق التاريخ" إذ لا يمكن وصف التاريخ بالعمق لكونه وصفاً رأسياً وليس أفقياً، فهو يصلح للحديث عن تاريخ منطقة واحدة للبحث في عمق تاريخها الخاص، ولا يمكن استجلابه للمقارنة بين منطقتين مختلفتين، كما أن هناك مصطلح "نبع الوفرة السياسي" المتضاد تماما، فالنبع ليس دالاً على الوفرة، بل على العكس تماماً، إذ يدل النبع على الشحّ والقلة، وهو لا يكون دالاً على وفرة تكمن في ذاته أبداً، بل قد يعني وفرة الأرض، فقط، حين تتآزر عدة ينابيع معاً فيقال: أرضع ينابيع وافرة الزرع.

هذه اللغة المتضادة المتناقضة مبثوثة في صفحات الرواية من أولها حتى آخرها، كما أن الرواية تحمل مسلّمات لا يمكن تمريرها باللغة الضعيفة التي كُتبت بها، ولا بما سواها، إذ نجد في نفس المقتطف: "اليمامة

والحجاز تتبادلان مركزية جزيرة العرب" وهي المسلّمة التي تتجاهل حضارات مركزية لا حصر لها: كحضارة بابل في دومة الجندل وتيماء، وحضارات اليمن والربع الخالي وعُمان وشرق الجزيرة العربية وتبوك والطائف وحائل ونجران ودلمون والأنباط في البتراء والعلا وغيرها، وتحصر المركزية في جزيرة العرب مناوبةً بين الحجاز ونجد فحسب، كما أن مسلّمة: "لكن يبدو الآن أن يمامة بني حنيفة، تستعيد هذه المركزية" ترد فيها مفردة "تستعيد" كمسلمة وهي ليست أكثر من خلط غير دقيق بين وجود اليمامة التاريخي، وبين حقيقة كونها لم تكن منطقة مركزية قبل مركزية "السطوة الدينية"، على حد وصف الكاتبة، ممثلة في الكعبة التي في الحجاز.

كل هذا في مقطع واحد من بضعة أسطر من الرواية، لكن الرواية بمجملها لا تخرج عما ذكرته آنفاً؛ التوسل الرمزي المكشوف والتوظيف التاريخي الشاذ عن المتن، والمسلمات التي تشكّل منطلقات غير حقيقية، واللغة الضعيفة المليئة با لمصطلحا ت المتضادة والهشّة. ولعل كل ذلك عائد إلى كون الرواية لم تتم مراجعتها أو العمل عليها بشكل مهني، ولا أدل على ذلك من رسم الشخصيات وما يرد حولها من توصيف لا يخلو من الأخطاء العجيبة، فعلى سبيل المثال نجد أن: "عبدالقادر آل مشرق، المتأمرك الذي ولد عام 1964" (548) سيكبر عامين اثنين بعد بضع صفحات فيصبح من مواليد 1962 "كان عمره خمسة عشر عاماً، عندما غادر إلى الولايات المتحدة عام 1977، مرافِقاً لخاله المصاب بفشل كلوي" (556)، وهذا مجرد مثال يوضّح الطريقة التي تم العمل بها على الرواية، إذ يبدو أنها رواية كُتبت على عجل، فحملت من التناقضات ما يستحق بحثاً مطولاً.

وأخيراً، "عمّة آل مشرق" رواية أخرى، بعد رواية دار خولة، التي تذكرني بمقولة ميلان كونديرا عن بعض الكتابات الرديئة، حين قال: "بعض الكتابات هي إنكار لوجود الهُراء"، إذ لا يمكن كتابة رواية ذات بُعد تاريخي معتمدة بشكل عام على مسلمات لا وجود لها إلا في ذهن كاتبتها، وكل هذا في قالب حكائي مفكك يعتمد على لغة هشة ومتضادة، ويحمل الكثير من الأخطاء اللغوية والمغالطات التاريخية والضعف الفنّي.

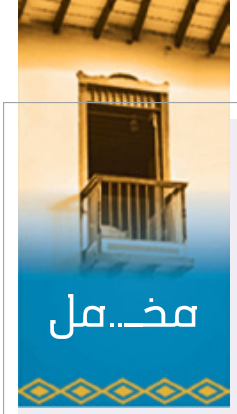

الكتابة ووهم المعاناة.

أسماء العبيد

هل يجب أن يعاني الكاتب حقا لكي يبدع؟
هل لابد للنصوص أن تنضج في تنور الوجع حتى تليق بمائدة الإبهار؟
وهل للكاتب المبتهج السعيد أن يهب العالم حرفا يحتوي إحساسهم كما يفعل الكاتب الموجوع؟
على الأرجح أن فكرة ارتباط الكتابة المبدعة بالألم لم يخترعها الكاتب وحده، بل ساهم المتلقي في صنعها وتضخيمها وصار لزاما على الكاتب أن يتلبسها حتى يكون مقنعا لنفسه التي آمنت بالفكرة ثم للقارئ.
ما يغيب عن فهم الكثيرين أن الكتابة فن والفن (حالة تلبس) لشعور أو لفكرة وليس التلبس بذاته هو المهم، بل الطريقة التي يمنتج بها الكاتب نصه ليظهر بها الفكرة هي الأهم.
يبدو الكتّاب مثل الحواة يدخلون اللغة في جيوبهم منديلا ثم يخرجونها حمامة بجناحين، فالمهم إذن هو روح المهارة وليس خام المعاناة.
ولكن القارئ الذي ابتلع غصة الحزن، والفقد والحرمان يرى أن هذه المشاعر هي وحدها التي كشفت له عمقه، سحبته إلى قاع إحساسه حيث يرى نفسه بصدق عاريا من الحيلة والبهجة وكل تلك التفاصيل التي كان يلون بها وجه الحياة العبوس، لذا فهو يرى أن الحزن والوحدة وما شاكلها من المشاعر هي العتبة الوحيدة التي يعبر بها الناس نحو أعماقهم، وهو يفترض أن الكاتب بكامل أناقته ووهجه ينحت نصوصه بين قيعانها.
ربما لا يستطيع أن يتخيل أن كاتبه المفضل يكتب نصه المرتعش ألما بين أكوام من طلبيات البيتزا وعلب المشروبات الغازية والمكالمات الضاحكة مع أصدقائه وضجيج برنامج يتابعه بنصف انتباه.
وهو كمتلقٍ يتأمل من بعيد، لن يستطيع استيعاب بداهة الصنعة ولا معقولية إنتاجها مثل أصحابها.

الفلسفة النسوية والفشل في تقصي الجذور.

د.حنـان العـزاز

تعكس عبارات الأغنية "جعل الرجاجيل للماحي" فكرة نسوية بحتة ترمي إلى ظلم الرجل للمرأة وتمنى زوال الرجال، وتغنت بها النساء على سبيل الطرفة رغم أن بحثي لم يسفر عن أصل الأغنية وسياقها التاريخي، لكن ما يهمني هو إمكانية استقراء فكرة "زوال الرجال" في هذه الأغنية المحلية وكذلك في أعمال أدبية نسوية متطرفة لكاتبات أمريكيات مثل شارلوت بيركنز غيلمان وسالي ميلر غيرهارت وفاليري سولاناس وسوزي ماكغي تشارناس وغيرهن، حيث تمثل تلك الأعمال فرضية مجتمعات تعيش فيها النساء لوحدهن لأسباب عدة منها انقراض الرجال أو الحرب مع الرجال لبناء مجتمع أنثوي خالص أو حتى الهرب من الأرض التي يسكنها الرجال للعيش في كوكب آخر، وشتان بين طرافة الأهزوجة المحلية وبين تطرف الخطاب الذي يحويه ذلك الأدب النسائي الذي يبني عوالم لن يضمن مثاليتها إلا غياب الرجل وعدم التعايش معه.

الخطاب النسوي التي يتضمن مطالبة النساء بحقوق معينة تكوَّن في سياق تاريخي محدد ألا وهو نشأة الحركة المسماة بالموجة النسوية الأولى التي انبثقت في منتصف القرن التاسع عشر في ظروف سياسية واجتماعية معينة في أوروبا ومن ثم الولايات المتحدة، وتتلخص في المطالبة السياسية بأحقية التصويت للنساء لما سيكون لأصواتهن من أثر في نيل حقوقهن في التعليم والمساواة في الأجور وغيرها من الحقوق. أثبتت فكرة حصول المرأة على حق التعليم والعمل بأنها جذابة للنساء في مختلف المجتمعات بدليل انتشارها حول العالم لأنها كونت إطارا يتوافق مع إنسانية المرأة وعيشها بتوافق نفسي ورضى في مجتمعها، لكن لم يكن الطريق خاليا من الصراع السياسي والعنف منذ نشأة الحركة إلى نجاحها في تحقيق مطلب حق التصويت، إذ أن أي تغيير جذري في الأطر المجتمعية لن يحدث بدون زلزلة القوى التي تحكمه تمهيدا لتغيير تلك الأطر.

لكن الإشكالية في انتشار الحركة النسوية حول العالم هي تبنيها ضمن السياق التاريخي لنشأتها الأصلية في الأطر الاجتماعية والاقتصادية في أوروبا وأمريكا، وهذا التبني حدث في مجتمعات تشكلت وتعمل خارج هذا السياق مما شكل حاجزا مزدوجا في مقاومة وتجريم الفلسفة النسوية باعتبارها مطالبة لهدم القديم والمتعارف عليه وارتباطها بالمرأة الأوروبية التي ترى المجتمعات المحافظة بأنها منحلة من القيم. خروج الفلسفة النسوية عن المقبول في المجتمعات (الإسلامية على الأخص) والذي تلخص في فكرة المطالبة بالمساواة مع الرجل كوَّن صداماً حضارياً -حتى في الغرب-لأنه يتنافى مع مبادئ تعتبر أساسية في ثقافة المجتمعات القائمة على سيادة الرجل فبالتالي تتمحور مطالب الحركة حول هدم البناء القيَمي للمجتمع لإعادة بنائه بتنظيم جديد يضمن المساواة وعدم سيطرة أحد الجنسين على الآخر، وناقشت قابلية تطبيق هذه الفكرة كاتبات نسويات مثل شولاميث فايرستون في السبعينات، والتي وضعت شرطا أساسيا لإعادة هذا البناء وهو أن تتخلص المرأة من "سجن" جسدها وعلاقته البايولوجية بالحمل والإنجاب والرضاعة، والتي أكدت بأنها عوامل أساسية في خلق الدور الاجتماعي للمرأة والذي يحتم جلوسها في البيت لرعاية الأطفال، ودعت بأن تسخر التقنية والطب لتحقيق هذا الهدف، فطالبت فايرستون أن يكون الحمل في أجهزة خارج جسد المرأة، وأن يشترك الرجال والنساء في الرضاع لوجود الحلمات في جسد الجنسين.

كانت تلك الجرأة في الطرح وخروجه عن المألوف لتفكيك الفكر المجتمعي بوابة للموجة النسوية الثالثة والتي فتحت المجال لمراجعة علاقة الجنس كمفهوم جسدي (الأعضاء التناسلية) والجنس كمفهوم مجتمعي (الأدوار المناطة بالذكر والأنثى في المجتمع) وفصل المفهومين: الجسدي والاجتماعي عن بعضهما. كانت الرائدة في هذه النظرية هي الفيلسوفة جوديث بتلر والتي يمكن تلخيص نظريتها عن الهوية الجنسية في أن امتلاك أعضاء جنسية ذكرية أو أنثوية لا يسهم في تحديد الهوية الجنسية للإنسان، وأن الهوية الجنسية يحددها المجتمع والطريقة التي يراها المجتمع مناسبة للتفريق بين تصرفات ولبس الذكر والأنثى، وبطبيعة الحال فتح هذا المجال للمثلية الجنسية وتبني هوية الجنس الآخر وتقاطعاتها التي لا تنتهي وإدخال ضمائر للغة لا تفرق بين الذكر والأنثى مما تسبب بصدمة ثقافية واستنكار حتى في الغرب.

وشكلت وسائل التواصل الاجتماعي وسيلة مثالية لنقل هذا الحِمل النسوي الغربي إلى طبقات الشباب حول العالم، وأقف شاهدة على هذا بحكم عملي في الحقل التعليمي وتواصلي مع شابات ذوات عقول يانعة كبرن في جيل متفتح على ثقافة الآخر بشكل مباشر بسبب وسائل التواصل الاجتماعي، وبطبيعة الحال أتاحت تلك المنصات مجالا خصبا للتعرف على ثقافة الآخر وتبادل الأفكار والمُثل بين الثقافات، وهذا على الأغلب من محاسن التقنية إذ أن الثقافة التي تعيش بمعزل عن غيرها لن تتمكن من الاستدامة في ظل العولمة. لكن المشكلة تظهر في تعرض العقول

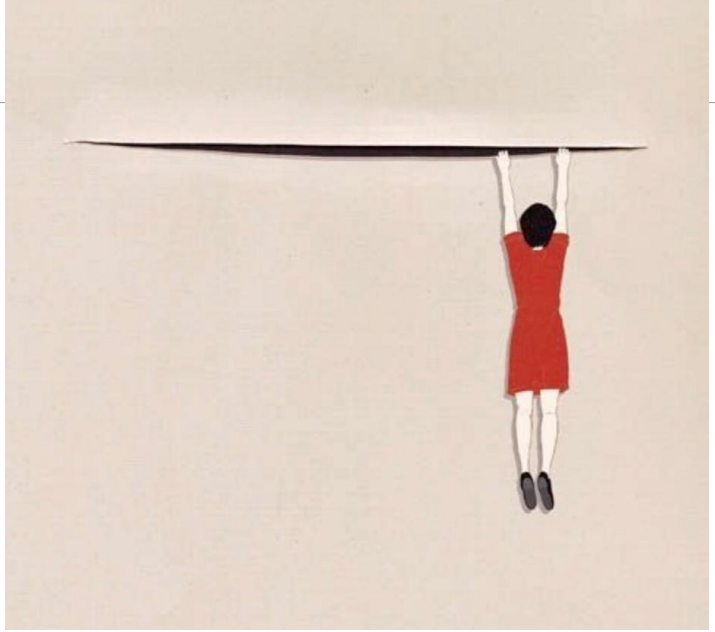

تعكس أغنية "جعل الرجاجيل للماحي" فكرة نسوية بحتة ترمي إلى ظلم الرجل للمرأة

يجب إلقاء نظرة فاحصة لتاريخ المرأة السعودية وحقوقها قبل النداء بضرورات نسوية انبثقت من التاريخ الغربي

الغضة لثقافة الآخر بدون التسلح بالمعرفة الكافية عن ثقافته الأصلية، وأنا هنا أتحدث بالتحديد عن الفكر النسوي الذي نشأ كمدرسة في الغرب وشاع في العالم لأنه ينادي بنقاط تعتبر مهمة وجوهرية لمعظم النساء.

والسؤال هو: هل تتغذى النبتة وتزدهر بجذور غيرها؟! وهل ترتكز العمارة على أساسات جارتها؟! ربما تتأثر وتتشكل الظواهر الثقافية بتأثير غيرها لكن لا ترتكز عليه كليا - وإن حدث هذا فستنتج ثقافة مسخ، لا تفي باحتياجات الحاضر والمستقبل لأنها لم تستند على الماضي.

ولعل من أكثر الأمثلة جلاء على أن تبني الفكر النسوي بدون مروره بمرحلة ترشيح وفلترة ثقافية وتاريخية سيكون اعوجاجا فكريا هو تاريخ الحركة النسوية في المطالبة بالحق في الإجهاض. هذا الحق نشأ في ثقافة مغايرة متقبلة للجنس خارج إطار الزواج. تبني فكرة التخلص في ما يتكون في الرحم هي مطب ثقافي لم تمر به مجتمعاتنا العربية على العموم لأنها لم تمر (بشكل معلن أو مقبول اجتماعيا) للتعايش الجنسي خارج إطار الزواج، ولم يكن هناك منع للإجهاض لأن ما قبل الإجهاض (الجنس قبل الزواج) ممنوع ومحرم وحالت ثقافتنا المحافظة بيننا وبين حدوثه، وعليه فإن هذا المنتج الفكري للحركة النسوية دخيل على ثقافتنا وتتعثر ترجمته لعدم وجود هذا الصراع في الأساس، وربما ناقض البعض وجهة النظر هذه بأن الحمل خارج إطار الزواج قابل للحدوث في أي مجتمع وهنا أقول بأنها لم تصل إلى حد الانتشار لدرجة القبول ولم تضطر النساء في مجتمعاتنا إلى جرأة "المطالبة" بالتخلص من أجنتهن. هذا صراع لم تخضه النساء في مجتمعاتنا.

لتكوين نظرة شاملة يجب أن يستند عليها الفكر النسوي السعودي يجب علينا النظر إلى شرائح المجتمع النسائي في الحاضر والماضي لأن عدم النظر في تفاصيل السياق التاريخي سيتسبب في إشكالات وقعت فيها الكاتبة الأمريكية بيتي فريدان التي حركت الموجة النسوية الثانية حين أصدرت كتاب "اللغز الأنثوي" في الستينات، إذ كتبت تطالب المجتمع الأمريكي بتنازله عن فكرة مطالبة المرأة بأن تكون ربة منزل تعتني به وبالأطفال، فحين نُشر كتابها انتقدتها عدة شرائح في المجتمع النسائي في بلدها وحول العالم لأنها طالبت بمطالب شريحة واحدة من النساء وهي المرأة من الأصول العرقية الأوروبية والتي تنتمي في أغلب الأحوال للطبقة المتوسطة فما أعلى، ولم تأخذ في الاعتبار مطالب النساء العاملات من الطبقات الدنيا أو من خلفيات عرقية أخرى واللاتي فرض عليهن العمل وتم انتزاعهن قسريا بسبب الظروف المادية من أحضان عوائلهن وخيار الاكتفاء بدور ربة المنزل، وبهذا كان التعميم الذي يحويه الكتاب لمطالب النساء متحيز لأنه قاصر عن أخذ السياق التاريخي و صراعات (أو انتماءات) فئات متعددة في الاعتبار.

لتجنب التعميم والأخطر منه الذوبان في ثقافة الآخر والذي سينتج عنه تبني خطاب نسوي مستورد وغير ضروري لأنه سيكون خارج عن السياقات التاريخية لثقافتنا، يجب علينا إلقاء نظرة فاحصة لتاريخ المرأة في السعودية وبالتحديد ما لها من الحقوق قبل النداء بضرورات نسوية انبثقت من التاريخ الأوروبي والأمريكي. ويثبت الاستقراء المقارن وجود اختلافات تاريخية جذرية في الحقوق و المساواة منها أحقية الاستقلال الاقتصادي الذي مُكنت فيه المرأة والمتمثل في التصرف بالميراث والمهر وعمل بعض النساء في البيع والشراء والعلاج وغيرها من الأعمال مثل الغناء في الأعراس ومهام "الربعية" ومهام الشيخة التي تعلم النساء القرآن، كل هذه المهام وغيرها ضمِنت استقلال المرأة اقتصاديا إلى جانب حضورها الاجتماعي في المشورة والذي اختصت به النساء ذوات الحكمة وأبهى مثال عليه دور عمة الملك عبدالعزيز الأميرة الجوهرة بنت فيصل بن تركي في تقوية عزيمة الملك و الذي انتهى بتوحيد هذه المملكة العظيمة. تاريخ النساء في المملكة زاخر بأمثلة التمكين مثل التمكين العسكري والمتمثل بخوض بعض النساء البدويات في المعارك كـ"محرضات" على جِمالهن لتشجيع الرجال على الفوز مثل رقية بنت زويمل، ودور غالية البقمية في إدارة معركة ضد المعتدي العثماني وغيرهن كثير مما سجله المؤخرون أو غفلوا عنه، ومجرد النقل التاريخي لهذه الأدوار للمرأة هو اعتراف وقبول اجتماعي بل وفخر بتمكينها في ثقافتنا.

ومما يجب أن تضعه كل امرأة سعودية نصب عينيها هو تبني قيادة دولتنا منذ تأسيسها لهذا التمكين. مجرد الاستقراء لتاريخ التعليم في المملكة يثبت بأن هذا الحق مُنح للمرأة بمباركة من قيادة دولتنا. قيادة المملكة العربية السعودية هي التي خاضت المعركة في المواجهة مع التغيير المجتمعي وزلزلته لصالح المرأة لمنح حق التعليم، هذا التوجه تبعه ضمان حقوق المرأة في العمل والمساواة في الأجور وقيادة السيارة، كل هذا التمكين يعكس تاريخ مغاير لما خاضته المرأة في الغرب فتبني نفس المصطلحات النسوية بحذافيرها هو مفرغ من المعاني بالنسبة للمرأة السعودية. وعليه فإن تثقيف الأجيال الصاعدة في مملكتنا الحبيبة لتلمس الجذور التاريخية لتمكين المرأة ودوره في تشكيل حاضرها ضروري لتجنب الخوض في معارك وهمية وتوجيه الطاقات الشابة لتكوين صورة مشرفة وناجحة للمرأة السعودية في كل مكان.

«الاستنزال» و«الجرمه» و«الونين»..

حكايات الجن والطرب.

أمل الحسين

منذ طفولتي وأنا أرى "الاستنزال" في الأعراس، وهو حسب الشائع بسبب تلبس الجني للإنسان، وهنا نتحدث عن المرأة، وكان هذا الوضع مخيف وأحياناً مرعب لدى كثير من الحضور، فهذه المرأة التي كانت بكامل زينتها ورزانتها فجأة تقفز من مكانها وترقص بعبثية وهياج وأحياناً بصراخ وتمزيق ما تستطيع من ثيابها أو شيلتها "المنيخل"، مع خلع ذهبها الثقيل وزناً وقيمة، والمكون في أحيان كثيرة من رشرش بأنواعه المختلفة أو قلادة ثقيلة كانت تغطي جزءا من نحرها أو كف بخمس أصابع، والخواتم، وتقذف به دون درايه أين يقع، ولولا سرعة القريبات والصديقات في التقاط القطع من الأرض، لحلت من وقع في يدها أزمتها المالية ان كانت تمر فيها وأزمة من تحبهم، وتكبر مشكلة نثر قطع الذهب ان لم يكن ملكها واستعارته من احدى قريباتها أو صديقاتها، وهذا النثر العبثي قد يُشكل منحى غير جيد في العلاقات، وتستبعدها كل قريبة أو صديقة من فكرة إعارتها ذهبها، ثم يحدث مالا تتوقعه بناء على طلبات الجن الذين يجبرون المستنزلات على ملابس معينة، فلا أنسى المرأة التي لبست وزرة لان الجني المتلبس لها يماني، وأخرى كانوا يفسحون لها المكان تفادياً لغضب الجني الذي كان يقال عنه (مرجوج يحب يناقز) وكنت أرى هذه المشاهد خاصة في الاعراس التي تغني فيها ماري سعيد يرحمها الله، والأكيد أن هناك غير ماري، ولكن أقول الذي مازال في ذاكرتي.

وهذه احدى المفارقات فالجني الرجل يتلبس الانثى، والجنية تتلبس الذكر، وبعضهن لديها وفرة فيكون متلبسها أكثر من جني، وأذكر احدى الفنانات الشعبيات عندما استنزلت سمعت إحدى السيدات تقول بتذمر (عسى ما يحضرون كل اللي فيها والله ما نطلع من هنا إلا بعد بكره) وبعضهن يكون نصيبها من الجن الطبقة المخملية فيتلبسها من شيوخهم وسلاطينهم، لذا يحضر لها دهن العود المعتق والدخون الأزرق، وقد رأيت مرة أخت إحدى هؤلاء وهي تخرج من شنطتها النوع الممتاز من العود والبخور فلم تدع شيئا للاحتمالات والصدف، فطلبات الجني الأمير قد لا تتوفر في كل مكان.

وكانت هناك شروط وطلبات صارمة على الجمهور من لم تنفذها فهي مهددة بكسر رقبتها من الجني، وهذا إيحاء بعنف هؤلاء الجن ليس على من يتلبسهن بل على الحضور المساكين، مثلاً ممنوع منعاً قاطعا أن تكتف يديك، وبنفس الصرامة ممنوع أن تجلس في المحيط القريب من المستنزلة أنثى عليها الدورة الشهرية، وأذكر بعض المعازيم اللائي كن يغادرن القاعة مسرعات خوفاً أن تعتدي عليهن المستنزلة بسبب الدورة الشهرية! وكان يقال أن المشبك المعدني فيه شيء من الحماية، فلو وضعته في ملابسك، فالجن ينفر منك فهو والمشبك أعداء! كان بعض الحضور يرتجف خوفاً من الجني المتلبس في جسد امرأة لا تتعب ولا تهدأ من الرقص أو من رمي نفسها بقوة على الأرض وقد ترتطم أحياناً بحامل الفحم المشتعل لإحماء الطيران! والبعض الاخر لا يبالي من باب معرفة وخبرة مع الجن.

وحقيقة لم يكن الموضوع يأخذ مني كل ذاك القبول والتصديق رغم صغر سني ولكن لا أقابله بالرفض والإنكار، كان موضوع مبهم ومجهول ومحير، حتى قرأت مقالا للكاتب التنويري عبدالله بخيت عن الاستنزال ولا أذكر هل كان في جريدة الرياض أو مجلة اليمامة فالصورة مشوشة في ذهني ولكن الأغلب أنها اليمامة وذلك وفقاً لصورة غير واضحة في ذهني عن كيفية مسكة المطبوعة، كان مقالا شبيه بالماء البارد الذي أيقظني و جعلني أستيقظ وأستقيم في جلستي، وأذكر أني قرأته أكثر من مرة، وكنت أحلل كل الاستفهامات التي طرحها، مازلت أذكر بعض تساؤلاته التي توافقت مع تساؤلات في داخلي ولم اكن أعرف كيف أوضحها لعقلي، فلم يكن لدي من المعرفة واللغة المساعدة لشرح حيرتي، ولا أود أن أذكر بعض التساؤلات خوفاً أن يكون فيها شيء من الخطأ بسبب التشويش في ذهني، بعد هذا المقال كنت كمن اخذ مضاد حيوي فعال، لم يعد للجن والاستنزال اي مدخل فكري علي وأصبح الوضع المجهول معروفا، وتحول ذهولي وطاعتي لتنفيذ الأوامر عند الاستنزال الى تحد وعناد، فعندما يقولون لا تكتف يديك، أكتفها وأقف أمام المستنزله في تحد صارخ بحديث داخل نفسي (يالله وريني وش بتسوين) وقد تعرضت لعدد من التوبيخات تصل للشتائم ممن حولي من الحضور خوفاً من إثارة غضب المستنزلة ووقتها سوف يعم شر غضبها وهياجها على الجميع، وفي مرة وقفت متكتفة فما كان من المستنزلة إلا أن أرتفع صوتها بالصراخ وشد شعرها وهي تنظر إلي، فشتمتني أخواتها وقريباتها على مسمع ومرأى الجميع، ومن عرفت سبب هيجان المرأة قالت (جعلهم يكسرون رقبتها عشان تعرف)، الرقبة كانت هي الهدف للجن وللناس، وتوقفت عن العناد ليس خوفاً من المستنزلة بل ممن حولها، فغضبها على تكتيف يدي أثبت لي أنه مازال هناك شيء من الوعي لديها بمن حولها وهي تنفذ الشائع من الأفكار والأقوال المؤمنة بها، أما خوفي الحقيقي كان ممن حولها، من الخائفين من الجني، كانت تصرفاتي تهدد أمانهم وتثير فزعهم وهنا ممكن يفعلون أي شيء بسبب سعير الخوف داخلهم، حتى شعرت أنهم يتمنون أن تؤذيني المستنزلة ليتحقق معتقدهم في قدرات الجن على أذية من لا ينفذون الأوامر! ولو اعتدت عليك المستنزلة لن تستطيع أن تقاضيها فالجني هو الفاعل، ومن يقاضي الجني الغاضب؟! خاصة ان كنت أنت المعتدي لعدم انصياعك لشروط معروفة لدى الجميع!

في احدى المرات استنزلت سيدة وكانت تدور داخل مساحة الرقص وهي تحبو، وكانت معها سيدة أعتقد أنها قريبتها تقول لها كلام والمستنزلة تهز رأسها بالنفي، ثم تلتفت المرأة نحو الفرقة وتنقل الرفض إما بهزة رأس مع تقطيب حاجبيها أو بكلمة

واضحة (ماتبي) وشاع جو من الحيرة بين الفرقة والمهتمات لأمر المستنزلة، والعجيب أن معظم من عرف أن هناك مستنزلة لم يُلب طلبها يخاف من عواقب عدم تلبية الطلبات؟! وبعد مضي وقت قصير من المحاولات والمداولات أعلنت رئيسة الفرقة أمرا للنساء بتغطية وجوههن بسبب دخول رجل، عرفت فيما بعد أنه عضو في أحد الفرق الشعبية الرجالية ومتقن للونين، و"الونين" هي قصيدة في الغالب معجونه بالوجع والفراق والألم تبدأ بالآهات و"الون"، فالجني كان يطلب "ونينا"، وكل عضوات الفرقة لا يجدن هذا اللون، وبدأ الرجل يونّ بعد أن أخذ (المرجاف) وهو أحد أنواع الطيران، وبدأ بالونين ووضع فتحة الطار أمام فمه وأخذ بتحريكه للخلف والأمام حتى أنه يلامس وجهه في بعض الاحيان، وهذه الحركة التي يتفاوت فيها درجة الهواء يبدو أنها تساعد الصوت على الانتشار وتعطي شيء من الشجن، والمستنزلة التي كانت تحبو جلست وصارت تضرب على صدرها بقوة وحسرة، وكأن الرجل فتح قلبها على أوجاع كانت مندسة ومخفيه، في هذه الأثناء ارتفع صراخ اثنتان في جهات مختلفة من القاعة، يبدو كانت همومهن ثقيلة وجاءت فرصة الونين والجني للتنفيس عن هذا الثقل، ومازلت حتى اليوم أتساءل لماذا لا يوجد نساء في الفن الشعبي (يونون) ؟

استنزال فتاة لم تصل للعشرين أو في بداياتها كانت أحد المواقف التي شغلت تفكيري لسنوات، كانت والدتها تقف حولها وهي تغلي من الغضب، كيف تستنزل صغيرتها؟ وكل من حولها من النساء يحاولن تهدئتها ويبررون للفتاة بأن الأمر خارج عن إرادتها وغصباً عنها، العجيب أن الفتاة كانت ترقص فترة قليلة جداً من الوقت ثم تدور وهي تفرك يديها وتضرب بقدميها الأرض بقوة، كانت مابين لحظة وأخرى تتوجه كسهم نحو والدتها لضربها لولا النساء اللائي يقفن حاجز بينهما! كان موقفا عجيباً جداً ومثيرا، ولم أسمع كلمة عتب أو لوم على الفتاة التي كانت تتحرق لضرب أمها بسبب أن الجني هو الفاعل! لم تغادر الفتاة وأمها ذهني لسنوات وكنت أسعى جاهدة لمعرفة علاقتهما الفعلية مع بعضهما، ولعدم وجود معارف مشتركين استغرق الأمر ما يقارب ست سنوات حتى عرفت عن العلاقة السيئة جداً بين الأم وابنتها، ومن غرائب الحياة أن المعلومات

التي عرفتها كانت من مصادر لم تخطر على بالي، وكان هذا الموقف من الأدلة داخلي عن ما يُسمى استنزال "الجرمه"، المرحلة الثانية حينما يتعقد الوضع مع الجني، وهي ضرب للطيران قريب جداً من إيقاع النقازي، بدون أغاني، طبول تتداخل أصواتها بسرعة وحدة وقوة، دون انسجام بينهم، حتى أنك تستغرب كيف يمكن

الرقص على هذا النوع من الطق، ويبدو أن هذا هو المقصود بحد ذاته، فعدم التناغم والسرعة تجعل المستنزلة ترقص بشكل عبثي مضاعف ويسمح لها بالصراخ والهياج أكثر بفعل الطق السريع على الطيران والتداخل وكأنها تنسل من جسد مثقل بمشاعر موجوعة ومتألمة وتطير في فضاء فسيح وفارغ ومظلم، وفي العادة تلجأ المغنية للجرمة بعد أن تتعب من المستنزلة بغناء عدد من الأغاني علها تعود لرشدها أو بمعنى أدق على الجني أن يكتفي ويخرج منها لتكمل ليلة الفرح ويعود المعازيم لمتابعة رقصهن واحتفاليتهن، فالجرمة بمثابة الكي الذي يكون في آخر العلاج، وهي رسالة أخيرة للجني بأن وقتك انتهى، ولكن هناك استثناءات تحصل حينما تكون المستنزلة من قريبات أو صديقات الفرقة، وكأن هناك معرفة بطباع الجني ومزاجه، هنا يمكن أن تُعاد الجرمة مرة أخرى، أو تُغنى أغنية واحدة وأخيرة يطلبها الجني .

والاستنزال لا يقتصر على النساء فقط، فهو في عالم الرجال قد يكون أكثر بكثير، فالإيمان ببعض الأفكار لا تختص بنوع دون الآخر، فالأفكار الرائجة والإيمان بها، والهموم والأوجاع لا تفرق بين البشر بناء على أنواعهم، وفي طرق التعبير عنها، ومرة صرح ضارب الزير عبدالعزيز أبو رايش وهو من صاحب الطيران سنوات طويلة ضاحكاً بسخرية عندما سُال عن حقيقة الاستنزال (وش هالجني الطربان)!

ورغم معرفة العديد للدوافع النفسية لهذا الرقص والهياج، إلا أن الحديث عنه قليل، وكأن العارفين يتحاشون الدخول في صراع يأخذه البعض لمنطقة دينية! وهذه الوسائل الهجومية والحادة التي يسلكها البعض لتخويف الناس من توضيح وكشف الخرافات التي تسيدت فترات طويلة هي المخيفة التي تحتاج الوقوف أمامها أكثر من قصص الاستنزال، أما البعض الآخر المصر على أن الرقص والهياج هو بسبب جني يتلبس الراقص فيكون دليله أنه رأى أو سمع أن أحد هؤلاء المستنزلين مسك جمرة مشتعلة أو وضعها في فمه، وهنا علينا التركيز أن معظم هذه الأقاويل المستشهدة بالأفعال الخارقة هي (أقاويل) يرددها المؤمنين بهذه الأجواء وأكاد أجزم أن من يرددها لم يرها بعينه وإن زعم ذلك، ولو افترضنا أنها حصلت ألا يتبع هذه الجمرة إصابات خطيرة؟ أين الجني من حماية جسد يستضيفه ويرقّصه؟ ومن جهة أخرى ألم يرى أو يسمع هؤلاء المؤمنين بقصص الاستنزال من حاول أذية نفسه أو من حوله بسبب أمراض نفسية مختلفة؟

كل ما في الأمر أن المعلومات الأولى التي وصلت لعقولنا ولامست عواطفنا وأخذت مكانها داخلنا صعب التخلص منها، ونتعامل مع من يتشكك فيها أو يحاول تفكيكها وتحليلها بشكل شخصي حاد!!

هؤلاء أنفسهم يقبلون صراخ وهياج من يسمونه مستنزل، ولو حصل هذا الصراخ من رجل أو امرأة في منزلهم أو مكان عام نتيجة ضغط شعور لم يستطيعوا السيطرة عليه، لانهالت عليهم نظرات الاستنكار والاستغراب وقد تصل للتجهم، وهذا لا يحصل مع المستنزل فعذر ورخصة الجني مقبولة ومبررة.

«دوها يا دوها» رائعة لمياء باعشن:

قفزة نوعية في فهم أثر الفلكلور والغناء الشعبي.

طالب عبد العزيز

أعتقدُ أنَّ واحدة من مشكلات التلقي عندنا تكمن في التنظير، المُعْتَمد داخل أروقة النقدية العربية، والأكاديمية أيضاً، هذا الذي يجعل من المركزية الغربية مرجِعاً ومعياراً، في النظر الى نتاجنا الثقافي والفني، وبذلك فقدنا الكثير من أهمية وجمال تراثنا المسموع والمعايَن والمكتوب، وبما أربك ذائقة المتلقي العربي، وشوّش مخياله الشرق أوسطي، نتاج الطبيعة والجغرافيا الخاصة، والتاريخ المحفوف بالتناقضات، والأنساق الاجتماعية المختلفة ، القضية الشائكة هذه جعلت من مفاصل كثيرة في ثقافتنا تبعاً لجملة من المدارس والمناهج النقدية هناك، المبنية أوربياً، على أنني لا أنكر أهميتها وأثرها(المدارس) فهي في غالب نظرتنا جزءٌ من الجهد المعرفي الإنساني، عابر الحدود، والذي لا غنى لأمّة من الأمم عنه.

ومثلما فعلت ماكنةُ التحديث الغربية فِعلتها في جوهر ثقافتنا العربية، وحدّثت في أساليبَ فهمنا للشعر والفن التشكيلي، وعموم الجهد المعرفي أُصيبَ جيلٌ الشباب العربي في سبعينات القرن الماضي، وفي العراق بخاصة بحمّى سماع أغاني ديمس روسس وإديث بياف والفيس برسلي وسواهم، وسرت بين أوساطهم ثقافةٌ لا تخلو من تأثر واضح، بما كان بين يدي شباب باريس ولندن ونيويورك من موسيقى وغناء، بعد ثورة الطلاب في فرنسا – 1968 بخاصة، والتي هي نتاج ما بعد الحرب الثانية بكل تأكيد. ربما كانت السينما ومعرفة الشباب الإنجليزية وراء ذلك، ودافعاً وحافزاً، غير مجانبين لحقيقة مفادها: أنَّ الاغنية هناك يتم انتاجها على وفق معايير عالية الدقة، وفي استوديوهات بنيت بأحدث التقنيات، فضلاً عن فضاء المدن والحياة بعامة هناك، كانت لها القدرة على استعمار النفس، وإخضاع المتلقي لسطوتها، والاخذ به الى عوالم حُلمية وساحرة، الأمر الذي أوقع شبابنا العربي في حبائل الحرية والجمال والاستعراض معاً.

ربما تكون مؤسساتُنا الثقافية والفنيّة العربية حديثة العهد في تعاملها مع الموروث الغنائي والفولكلور الشعبي، ومحاولة تقديمه للمتلقي، بعد أنْ فقدنا الكثير منه، عبر متوالية الزمن في المحو والطيِّ والنسيان- على تباين درجة التعامل في بلداننا العربية- إلا أنَّ أغاني واناشيد وتنويمات أطفال وأهل جدة والمدن الحجازية الأخرى المظروفة في الـ C.D الذي جئت به من زيارتي الأولى للملكة العربية السعودية، والذي اشتغلتُ عليه الدكتورة والباحثة لمياء باعشن طويلاً، واجتهدتْ في تقديمه على أجمل ما يمكن، ممهوراً بإهداء الصديق الناقد السينمائي الأستاذ خالد الربيعة سنة 2009 أعاد لي ثقتي بمستقبلنا في التعامل مع القضية هذه. الأغاني والاناشيد بموسيقاها وإيقاعاتها تلك رجَّت قناعتي بقوّة، فهي مما يستيقظ في الضمير الثقافي بالمملكة الآن، بعد سنوات من الغفلة عنه. أشهدُ اللّه أنها كانت من أجمل ما سمعت، وتم تقديمها بأجمل الأصوات وبأعلى درجات الحس الموسيقي.

وصلتُ البصرةَ، وتيقنتُ بأنَّ الصديق الربيعة أهداني أجمل ما عنده، وبذلك يكون قد أجزل العطاء، وأحسن الاختيار، فما أنْ استقر مقامي في البيت حتى وجدتني محمولاً الى عالم كنت قد فارقته طويلاً، أو هكذا، خُيّل لي. الأغاني الشعبية والتراثية تلك، حقيبة المباهج والسعادات، سلّة الحلوى الثمينة، وزجاجة العطر كانت تأتيني عبر حناجر النساء والأطفال المنشدين، وبأكفِّ المصطفين وفي وداع الذاهبين الى الديار المقدسة، ومثلها ما كنتُ أتلمسه من بين شفاه المستقبلين، المنتظرين، الفرحين بعودة الحجيج من رحلتهم الطويلة، وقد بلغوا الديار، واطمأنت القلوب بوصولهم. تلك الأصوات العذبة الشجيّة، في القرص المرن ذاك كانت ضالتي في البحث عن النغم والجمال، فقد أعادتني الى ما كنّا نردده في حضرة أجدادنا وآبائنا العائدين من مكة والمدينة، يوم كان السفر الى هناك يعني تجربةً في الموت.

وأنا أصغي لأصوات المنشدين من النساء والأطفال، الذين اجتمعوا في (دوها يادوها، وصفّق صفّق يا مرجان.. ستي خديجة في الروشان.. صفق صفّق يا مرجان.. ستي زكية في الدرجان... واللي يصفق أبوه يعطيه... توب حرير يدلع فيه.. قد كدة قد

الرمانة.. قد كدة حلوة ورويانة.. قد كدة ترقص وتغني.. قد كدة تلعب وتحني....) أو" ياقمرنا ياملِيح/ بطح/ سيدي سافر مكة/ جبلي زنبيل كعكة/ ياقمرنا ياملِيح/ شد حصانك وأستريح/ تاتي حبه حبه/ تاتي شقح العتبه/ يالله سيدي كبير/ يالله واكف على البير ..." ذلك الشدو الممتع، الذي تم اختيار الأصوات له بعناية عارفةٍ،

تعلم كيف يتم تقديم الإرث الغنائي التقليدي، وبأيِّ الآلات الموسيقية، ليكون طبقاً فنياً بالغ الجمال، وقطعاً هناك اشتغالٌ آخر على الكلمات، أو الإضافة عليها، وبما يتوجب عليه أن تكون، ليظهر العمل تاماً، وليخلدَ في الذاكرة، خارج خوارزمية الزمن.

حتى وقت قريب كانت وجهة النظر العربية عن الادب والثقافة في المملكة أسيرة الفهم التقليدي، القائل بالتضييق والتشدد الديني، ولعلنا في العراق ننظر لها عبر شاشة القطيعة التي تسببت بها الحروب العبثية لنظامنا السياسي، لكنَّ السنوات الأخيرة أضحت تفصحُ عن مكنون ثقافي لا يمكن تجاوزه، وعن امتداد معرفي وفكري ونقدي لا يمكن فصله عن ما يحدث في الثقافة العربية بعامة، وبتعبير أدقَّ فأنَّ ما وقفتُ عليه في زيارتي كان مفاجئاً لي، فقد وجدتُ أنَّ امتداد الثقافة لدينا في جنوب العراق بخاصة يرتبط بوشائج ثقافية قويّة مع كثير مما ينتج في مدن المملكة، وفي معاينتي لموجودات المتحف التاريخي بالرياض كانت دهشتي أكثر بمقتنياته، إذْ رحت أتأمل منحوتات حجرية، مثل العجلة الدائرية والعربة التي تشبه الى حدٍّ كبير العربة الآشورية الماثلة في المتحف العراقي. هناك امتداد رافديني واضح، وغيرَ مغالٍ إذا قلتُ بأنَّ المشتركات أكثر من ذلك بكثير، وأنَّ كلَّ ما ينتج من ثقافة هو موصول بثقافة البلدين، حتى أنني استحضرتُ ما حدثتني به الشاعرة هدى الدغفق عن البرامج الثقافية، التي كان يبثها راديو بغداد، في سبعينات القرن الماضي، والتي كانت تستعرض المجلات الأدبية مثل الأقلام والطليعة الأدبية والثقافة الأجنبية بوصفها زاداً ثقافياً، يتطلع لقراءته القارئ السعودي.

يؤسفني أنْ أقول بأنَّ أجهزة الحواسيب الحديثة صارت تأتي خالية من الـ CD ROOM ولم أتمكن من نقل محتويات القرص الى جهازي الجديد، لذا، ذهبتُ الى متصفح اليوتيوب، علّني أعثر على جملة الأغاني تلك، واستعيد بها مباهج رحلتي القصيرة الى المملكة، الرحلة التي زادتني يقيناً بأنَّ (دوها يادوها) وما عملت عليه الدكتورة باعشن كان قفزة نوعية في فهم أثر الفلكلور والغناء الشعبي، وضرورة حفظه والعناية به، ووجوب تقديمه لأجيالنا الجديدة، ذلك لأنَّ أيَّ حاضرٍ لن تقوم قائمته إلا بتوثيق وشائجه الى ماضيه وأثره. وأنَّه من أعمال الجرأة النادرة، التي يغبطها عليها الباحثون، فهي التي جمعت النفيس من تراث وفولكلور منطقة الحجاز، ثم قدمته على شكل لوحات غنائية، وبتحديث موسيقيٍّ شرقيٍّ تجوهر سمعياً، بعد تطعيمه بالموسيقى الغربية، لهذا جاء على الدرجة العالية من الجمال والأهمية، ومثالاً على التدرج في نقل الذوق والحس الإنساني الرفيع الى مرتبته الأعلى.

أعترفُ بأنني أضعتُ الكثير مما جئت به من هناك، كتباً ومقتنيات.. لكنني مازلتُ احتفظُ بهدية الصديق خالد الربيعة، هو الذي عرّفني على واحدة من علامات الثقافة في المملكة، فباعشن أستاذة النقد والأدب بقسم اللغات الأوروبية وآدابها بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وصاحبة أوراق علمية في النقد الأدبي باللغة الإنجليزية، ومشارِكة ببحوث نقدية في عدد من الملتقيات الأدبية في المملكة وخارجها، وظّفت دراستها الأكاديمية في أميركا لصالح ثقافة بلدها السعودية بشكل منقطع النظير، بعد عودتها من هناك، فقد حفظت أهازيج الذاهبين للحج من جدة لمكة والمدينة، وكذلك ترنيمات الطفل، وهدهدة الأم لوليدها، ساعة رضاعته، ثم أنها سمّت له النجوم، وهي تنام على تخفق على قلوب الاسطح والازقة ، وأدَّت بصوتها أغاني الحبِّ والشوق والفراق، وسوى ذلك الكثير والكثير، في لوحات موسيقية جددت توزيعها بين آلات شرقية وغربية.

ذات يوم سأل أحدُ الأصدقاء على صفحته الخاصة السؤال هذا:" تُعلمنا المؤسسات الرسمية والمراكز البحثية ومنظمات أممية أخر مثل اليونسكو بتدني مستوى التعليم في بلاد ما، لكننا، غالباً ما نفاجأ بزيادة مضطردة في عدد الأساتذة الحاصلين على الشهادات العليا؟ أليس في الأمر مفارقة؟ نعم، هناك مفارقة أكيدة، وهذا واقع حال التعليم والثقافة في كثير من بلداننا العربية، الآن، إذْ أننا لو أحصينا عدد أساتذة اللغات والنقد الأدبي والسينما والمسرح والفنون الأخرى في عموم الجامعات لعثرنا على أرقام فلكية، لكننا لو تأملنا المنجز العلمي والثقافي لهؤلاء لأصابتنا الخيبة، بكل تأكيد! أنا لا أعتقد بأن الفسحة المتاحة في بلاد مثل السعودية أوسع من مثيلتها في أيِّ بلد عربيٍّ آخر، مثلما لا أعتقد بصحة مقارنة تاريخ وعمق ثقافة أيِّ بلدٍ بعمق وتاريخ الثقافة في بلد آخر، غير أنَّ مقولةَ الحضارة جهد فرديّ تقودني الى القول بأنَّ جهدَ د. لمياء باعشن كان كبيراً وحضارياً.

هشام السلمي

الذاكرة الجماعية في المملكة:

نحو إنقاذ التاريخ الشفوي من التلاشي.

تشكل المملكة العربية السعودية الجزء الأكبر من جغرافية الجزيرة العربية التي تعد من أهم المواقع المتميزة في الخريطة العالمية؛ بسبب موقعها الرابط بين ثلاث قارات (آسيا – افريقيا – أوروبا) ما مكنها من امتلاك خيوط التواصل بين تلك القارات ومهبط لكثير من الحضارات المتعاقبة والعابرة التي لاتزال آثارهم باقية شاهدةً عليهم، لتزخر المملكة العربية السعودية بعمق حضاري أصيل.

ولأهمية السعودية كأرض حاضنة لعدة شعوب عبر التاريخ الإنساني المشترك بدءاً من الحضارات المنقرضة مروراً بأهم محطة تاريخية عظيمة حينما بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم وانتهاءً بمحطة الدولة السعودية الحديثة ومعززةً في الوقت نفسه الأهمية الاستراتيجية في الخارطة العالمية السياسية والاقتصادية.

وبما أن المملكة العربية السعودية دولة شاسعة المساحة جعلها تملك تنوع في العطاء البشري وإرث ثقافي خاص يشكل ملكية خاصة وذاكرة وجدانية قريبة "قبل تأسس الدولة وبعد التأسيس" مرتبط بالمكان يلزم استحضاره والاعتزاز به ومعرفة طبيعة تشكله في الوجدان وبقاءه في حيز الوجود عبر استدعاء ما يحمله الفرد من ذكريات متوارثة عن سلوكيات ونظم عرفية ومعرفية ومآثر...الخ (فاقد الذاكرة يفقد أهم مكونات الوجود)

لذا لا يمكن القول إن إحياء الذاكرة الجماعية الثقافية للمجتمعات المحلية في مناطق المملكة لحظة عودة عاطفية منقطعة عن الحاضر؛ بل زاد فكري وعامل مهم للحفاظ على التنوع المتمثل بأشكال عدة بمفهومها الخاص بالهوية واتساعاً بهويتنا التي ننتمي إليها جميعاً "الهوية الوطنية" تتجلى في النظم القيمية المتوارثة وأنماط التعبير كالعادات بشكل عام، والفنون الأدائية، واللعاب الشعبية، والمأثر الشفوية، وغيرها، أو ما يسمى بالتراث غير المادي الذي ينظر إلى الذاكرة الجماعية كظاهرة اجتماعية مشتركة يجتمع فيه الأفراد في عملية التذكر، بمعنى آخر ذاكرة جمعية تقوم على ميكانيزمات سيكولوجية فردية تتقاطع مع كثير من أفراد مجتمعه.

بقدر ما تزودنا به الذاكرة الشفوية من آفاق معرفية واسعة لا نغفل أن التاريخ كان أساسه نقلاً شفوياً من ذاكرة جمعية للمجتمع بدءاً مما قام به المؤرخ الإغريقي هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد إلى أن تأسس علم التأريخ في القرن التاسع عشر كحقل أكاديمي مستقل.

ولإعادة المخزون الثقافي كان من المهم جداً الأخذ بالشهادات الشفوية والاتكاء على المناهج التي من الممكن أن تقربنا أكثر في فهم الحالة الثقافية اللامادية في تلك الحقبة ومن أهم المناهج المتبعة في ذلك منهج الانثروبولوجي البنيوي المعتمد على الملاحظة والحوار المفتوح مع المجتمعات المحلية ليكون مصدراً في للدراسة.

لكن التحدي الأكبر لحفظ هذه الذاكرة وسرديتها التاريخية قبل أن تهفت مع مرور الوقت لتصعب المهمة على المؤرخ في فهم واستيضاح الجوانب الدقيقة الغائبة بسبب النسيان الجماعي أو الإهمال التوثيقي؛ لذا ينبغي التعامل مع التراث غير المادي بجدية وموضوعية بأرشفة الشهادات الشفوية كجزء من التاريخ للاستفادة منها مستقبلاً وحاضراً وإحياء بعده الثقافي في ظواهره الاجتماعية ووسيطاً مهماً لكتابة التاريخ.

عن الراوي غير الموثوق به..

مؤلف القصص الأكثر تشويقاً في ذهن القارئ.

مريم المساوي*

يعمل علم الكلام منذ نشأته الأولى ونقله على خط السرد على إشكالية الحياة نفسها وتتبع الحدث والقصد فيها من الخلق والإبداعية الممسرحة المنقولة بإضفاء الذاتية ونزع الذاتية بطفرتها السيكولوجية ومكانتها في الحس الأخلاقي في فم الراوي في فضائه السردي.

الراوي غير الموثوق به هو شخصية عامة روائية لها مهمة هلامية نوعاً ما بداخل القصة تتواجد وتحكي للقارئ قصة وقد تعرضت مصداقيتها للخطر بشكل مثير للارتياب، قد يكون هذا بسبب أن وجهة نظر الشخصية مجنونة أو كاذبة ومظللة أو لأي سبب أخر.

لقد استخدم الناقد الأدبي واين بوث عبارة (الراوي غير الموثوق به) لأول مرة كتعريف اصطلاحي في كتابه "بلاغة الخيال" في أوائل ستينيات القرن العشرين وهذه التقنية موجودة منذ ظهور الأدب نفسه، ابتدأت هذه التقنية في عصور ما قبل التاريخ البسيط في يوميات المجتمع المصغر إذ يتجلى كمشهد لغوي لراوٍ يبالغ دائماً في استغلال مآثره بين حشد رعوي مجتمعين حول النار، وفي غالب الأحيان يكون الراوي غير جدير بالثقة بطبيعته، بعبارة أخرى يكون الرواة أشخاصاً فظيعين لدرجة لا يستطيعون سرد قصصهم بموضوعية. وهو بشكل عام يشبه هذه الانطباق على إشكالية الأشخاص الذين يرتكبون أسوأ الجرائم ويبررون أفعالهم بنفسهم، ومن الأمثلة الكلاسيكية على ذلك المطروحة أدبياً الراوي القاتل في قصة (القلب الخائن) لإدغار آلان بو.

هناك العديد من الأسباب التي تجعل الراوي جديراً بالثقة أو غير موثوق به ويتعقد استخدام عبارة الراوي غير الموثوق به في قصص الجريمة والغموض لأنه من الصعب مناقشة هذا النوع من الرواة دون إفساد سير الرواية لصالح مفاهيم الراوي بشكل واضح. استخدمت الكاتبة أجاثا كريستي في قصص الجريمة التي تفككها تكنيكاً معيناً لقولبة الراوي وهو الراوي مع اللغز، حيث يعد افتقارهم إلى الثقة في نقاط الجريمة مبدئياً يعزز بناءً بغاية الأهمية للقارئ الذي يبدأ بالثقة مع الراوي في البداية، ومع استمرار سير الأحداث يدرك القارئ أن هناك شيئاً خاطئاً، ولا يتعمد هؤلاء الرواة الخداع دائماً لكن احياناً يكون الراوي غير جدير بالثقة بسبب سذاجته أو النطاق المرحلي عمرياً وعقلياً، وكمثال على ذلك الراوي في كتاب "في حادثة الكلب الغامضة في الليل" لمارك هادون، فقد كان الراوي مصاباً بالتوحد فيما يرادفه في كتاب "رواية الغرفة " لأيما دونهيو كان الراوي يبلغ خمس سنوات من عمره فقط وأيضا هناك نوع فرعي للراوي غير الموثوق بسبب عدم اكتمال المعلومات المقدمة أو عدم صحتها وبالتالي القارئ يسيء فهم كل الشخصيات في القصة، هؤلاء ينقلون العالم كما يفهمونه ببساطة، وتعتمد هذه الكتب تحديدا على القراء لاستخلاص استنتاجات بناءً على أدلة يقدمها الرواة الذين لا يفسرون الأحداث دائماً بدقة. الراوي غير الموثوق به مفيد بشكل خاص لكتاب قصص الغموض والخارقة للطبيعة الذين يريدون من القراء أن يشككوا في الخط الفاصل بين الخيال والواقع.

إن أحد الاستخدامات الماهرة بشكل خاص للراوي غير الموثوق به والذي يجمع بين العديد من الأنواع المذكورة نراه في رواية ليونيل شرايفر "نحن بحاجة إلى التحدث عن كيفن"، حيث استخدمت فيها تقنية حجب المعلومات مع الراوي فكان تقرير الراوي للأحداث متمكن بالغموض ليترك كل الأحداث من نصيب القارئ وهو ما يحل محل الراوي الإشكالية وإشراكه في تصور أحداث تطور الشخصيات بلا معطيات من الراوي الموارب. هناك مخاطر في استخدام هذا النوع من التقنية لأنه لا يستند للصوت النهائي للحقيقة أو السلطة وقد يجعل القراء يخلطون بين الراوي والمؤلف، وفي بعض الأحيان لا يتبين عدم موثوقية الراوي إلا تدريجيا. في الواقع قد يثق القارئ بالراوي طوال معظم الرواية ومع هذا النهج من المهم وضع طبقات من القرائن والدلائل في مقدمة الجزء الأول من الرواية دون جعلها واضحة وهذا يضمن أنه عند إعادة النظر إلى الوراء لا يشعر القارئ بالخداع بسبب التبديل.

تظل الكتب التي يرويها راوٍ غير موثوق به هي القصص الأكثر تشويقاً في ذهنية القارئ لأن الراوي السردي غير الموثوق به لا يفند نفسه وأقواله بل هذه قواعد اللعبة السردية وهذا تحدي القارئ بتقييمه للمواقف والشخصيات برؤية نقدية لمعرفة ما يحدث ويستخلص استنتاجاته الخاصة وحكمه على الشخصيات كما لو أن المؤلف والراوي لم يفعل ذلك نيابة عنه.

*كاتبة ومترجمة.

تهافت الروائيين.

سلمان السليماني*
@salmancave

لدي قناعة فنية ونقدية، أن كل سيرة ذاتية - بلا استثناء - تصلح لأن تكون عملا روائيا جيدا. لكن بالإضافة إلى ملكة الكتابة أولا، تأتي (الحكمة الإبداعية) لإمكانية تحويل أي حدث، إلى صيغة أدبية في الحالة التي نتحدث عنها هنا؛ أو أي صيغة أخرى، وفي أي حقل، سواء كانت فلسفية، أو فكرية، أو أي سردية إنسانية.

إن الحكمة الإبداعية هي التي تفهم وتدرك؛ كيف يستطيع الكاتب أن يعرف مغزى سيرته أو حياته، أو تلك الأحداث التي تحدث حوله - دائما؛ وحولنا جميعا بلا استثناء - أيضا. بذات الكثافة والحضور، بنفس التلقي والتفاعل، يبتكر كل شخص، مدى ومعنى كل شيء في محيط الذات، من المشاعر، مرورا بالأفكار، إلى السلوك، والتفاعل، والصراعات، والتجاذبات على مستوى الإدراك الواعي؛ ثم الخيال والأوهام، مرورا بأحلام اليقظة والومضات الوجودية الكبرى في عوالم البشر والذوات.

تحتاج الرواية إلى وعي متقدم، بمفهوم السردية الإبداعية. ليس كل رصف للكلمات تعبيرا عن حدث ما، يصبح فجأة رواية أو فصلا من رواية. الأحداث لا تنتظم على هيئة إبداعية بمجرد سردها كوقائع فنية، هي بحاجة لرؤى تكشف عمقها وتسبر أغوارها؛ الأحلام ليست مادة سهلة لتتحول إلى تصور روائي سيكولوجي مستفز للمشاعر الأعمق غورا، في دهاليز النفس البشرية؛ بمجرد سردها بشكل تقريري! إنها بحاجة لملكة التأويل والعبور بالرؤيا إلى الشاطئ المعرفي/ الفني، لتصل هادئة لضمير التلقي الإبداعي لدى القارئ. وهكذا إلى أبعد نقطة أو هدف أو غاية، في معين المفردات السردية التي تشكل فنا روائيا فذا. على الكاتب أن يعرف كيف عاش سيرته، ليحكيها بمتعة وشفافية مدهشة؛ على المتهافتين على الرواية لتدوين أسمائهم في سجلات كتابها أن يتحروا الرؤى والوعي واللاوعي واليقظة وأحلامها الفتية. ليست كتابة الرواية عملا ترفيهيا أو شبيها بتمارين قاعة التدريب ونوادي اللياقة؛ إنها غوص في عمق التجربة الإنسانية برؤاها وحجبها وتجلياتها. ليست كتابة الرواية ممارسة للمشي بدون رؤية ألوان النوافذ، وبدون لمحة لأقفال الأبواب، ومن غير تفرس في ملامح المارة، وبلا إنصات لحكايات السماء، وعطر الريح. الرواية ركض نحو غاية غير مدركة وغير معينة، تستلهم معالم الطريق، وتتأمل مسارب الدروب، وتستيقظ في حين غفلة الجموع. على المتهافتين أن يدركوا أي مغامرة خطرة، يخوضونها في استسهال الشروع في عمل روائي. بدل أن ينوء الكاتب بحمل عمل روائي ساذج ومتهافت، عليه أن يعي حجم المخاطرة التي عليه أن يتحملها؛ لأنه سيقابل الوحوش المرعبة في طريقه، سيتخذ سبيله بين الغابات والأحراش، سيلتقي ربما بالشيطان، أو بملاك في طرفة عين؛ سيؤدي به طريق الرواية الحقيقية في الحياة الصحيحة، المنبثقة من صميم معنى العيش؛ من لا يستطيع تحمل وهج الحقائق التي تتحول إلى حيوات من عالم آخر، عليه أن يفكر ويتأمل ويحذر؛ عندما يقدر الكاتب قيمة (الرواية) ويمنحها الاحترام الواجب؛ ربما يعثر على مفتاح الباب السري، الذي سيفجر أمام رؤيته القاصرة، كرنفالات السرد الحقيقي؛ وحتى ذلك الحين الذي نعثر على الكنز الذي نبحث بقربه؛ علينا أن نتحلى بالصبر.

وأختم بهذا المقطع، كتسلية في زمن الصبر الذي نحن بحاجة إليه، لنعرف الرواية جيدا، ونتمكن من كتابتها بكل شجاعة واحترام. يقول ميلان كونديرا: (القسم الأعظم من الإنتاج الروائي اليوم يُنتج بمعزل عن تاريخ الرواية: تُروى الاعترافات والتحقيقات وتصفية الحسابات والسير الذاتية وإنشاءات الأسرار والوشايات والدروس السياسية واحتضارات الزوج والأب والأم والولادات، روايات لا تنتهي حتى نهاية الزمان دون أن تقول شيئا جديدا، وليس لها أي طموح جمالي، ولا تُحدث أي تبديل في فهمنا للإنسان ولا في الشكل الروائي، وتتشابه فيما بينها، ويمكن أن تُستهلك كاملة في الصباح وتُلقى كاملة في المساء)

*كاتب وناقد

أزمة: « ماذا بعد »؟

شهد العتيبي

أنام وأصحو وذلك التساؤل يُلاحقني كظلٍّ ثقيل، يتسلل إلى أعماقي كالحب، دون أن أستطيع فهم آليته أو مقاومته. يرافقني في وحدتي ويُزاحم أفكاري في وجود الآخرين، حتى لو كان نادرًا.

في الصباح، أُحضّر قهوتي بعناية كأنها طقس مقدس. كوب القهوة، بالنسبة لي، ليس مجرد إناء، بل قطعة مُتكاملة من شعوري. أجدده كلما شعرت بالملل أو احتجت لمسات تُعيد لي توازني الداخلي. لحظة ارتشافي للقهوة تحمل وعدًا مؤقتًا بالهدوء، لكن ذلك الوعد سرعان ما يتبدد تحت وطأة سؤال يتفجر في عقلي: "ماذا بعد؟". تنهيدة ثقيلة تفرُّ من روحي، أغمض عيني للحظة، ثم أفتحها وكأنني أتجاهل ذلك الفراغ الذي يبتلع كل شيء. أكمل الكوب وأحاول أن أعيش اللحظة، لكن السؤال يعود، يلتفُّ حولي كالضباب.

الخارج؟ هو مسرح مشوش. الأيام تمر ببطء مُملٍّ أو بسرعة مربكة، لا وضوح فيها ولا استقرار. أعيشها كأنني أراقب مشهدًا سينمائيًا من بعيد، أرى جمال التفاصيل، لكنني عاجزة عن التفاعل معها. أشتري فستانًا جديدًا بلونٍ أعشقه، أستعدّ بحماسة للقاء الصديقات. أصفف شعري وأضيف لمسات من عطري المفضل، أُزيّن وجهي بابتسامة خفية، وأُغرق نفسي في الألوان والروائح. لكن، وسط هذا الزخم الجميل، يُهاجمني شعور مخيف.

أخشى اللحظات السعيدة. أخافها حدّ الهروب منها. تلك اللحظات تتركني عارية أمام الفراغ الذي يليها. كأن السعادة لا تكتمل أبدًا دون أن تعقبها لحظة تساؤل قاتلة: "وماذا بعد؟". أرتبك. أختلق أعذارًا واهية. أعتذر عن لقاء أو حفلة كنت أتطلع إليها. أعود إلى وحدتي لأنني أجد فيها أمانًا وهميًا من ذلك الشعور المربك.

هذا الهروب يتكرر معي في كل شيء تقريبًا. الكتب، مثلًا، هي عالمي الموازي، ملاذي الدافئ. أعيش بين صفحاتها وأستأنس بحكاياتها. أقرأ بتركيز تام وأجد لذة لا تضاهى في الكلمات، لكنني سرعان ما أتوقف فجأة. أُغلق الكتاب، لا لأنني اكتفيت، بل لأنني وقعت مرة أخرى في شرك تساؤلي: "ماذا بعد؟".

أكتب، وأكتب كثيرًا. الكتابة نافذتي إلى ذاتي، مرآتي التي أرى فيها كل ما أخفيه عن العالم. لكنها أيضًا طريق آخر إلى نفس المأزق. كل فكرة أُسطّرها تجرني نحو تلك الحفرة: "ماذا بعد؟".

أعيش في دائرة مغلقة. أفرح وأبكي، أحتفل وأخاف، أقرأ وأكتب، لكنّ ذلك السؤال لا يغادرني. وكأنني أسير في ممرٍ طويل بلا نهاية واضحة. كل باب أفتحه يقودني إلى تساؤل جديد، وكل إجابة أبحث عنها تُنجب عشرات الأسئلة الأخرى.

هل هي أزمة وجود؟ أزمة بحث عن معنى؟ أم أن الحياة بطبيعتها تُغرينا بالبحث عن أفق أبعد، ثم تتركنا عالقين في المنتصف؟ لا أدري. كل ما أعرفه أنني أعيش هذه الدائرة بلا أمل في الخروج منها، لكنني لا أتوقف عن المحاولة.

ربما تكمن الإجابة في التساؤل ذاته. ربما "ماذا بعد؟" هو ما يجعلنا نعيش، نبحث، نكتب، ونحلم.

قصائدُ بالأبيض والأسود .

محمد الدميني

مقْبرة العَوْد*

في الليل
في المقْبرة التي أمام الليل
أُخْرِجُ دروسي الجامعيّة
وأضعُها على الطاولة
وأفكّر في النائمينَ حوْلي
الذين يغْرقون في ألمِ الوحْشة
أحلامُ ليلهم دَبِقة
وأشدُّهم فروسيةً
ذلك المذبوحُ بـ "نجاة"
في "وِسْط الطريق" *
ها هو الولَعُ يسري
ويزرعُ ظلال الجَنّة بين أسرّتنا.

أمام المقبرة النائمة
أقولُ لنفسي:
لقد ماتَ الأبْطال
ماتوا بقسْوة أحياناً
وأحياناً في أحضَان أمَّهاتهم
وربما هبطوا في نُعُوشٍ
من المدن الفارهة
لكن الرملُ الذي يرْتدي الذّهب
ينتظرُ نُزَلاءهُ بشغف.

الليلُ قاسٍ لكنهُ ضَرير
في هذا العَماء
يصيبني الخَدَرُ فيما طائرةٌ
تهدرُ في هبوطها
لتَخْمدَ كل عصافير رحيلي.

أنتَبِهُ إلى أخطائي التي تركَتْني وحيداً في الليل
وأعودُ إلى الغرفة
لأرى روحي يتيمةً
وسطَ أحلام رفاقي الصاخِبة
صورٌ مارقةٌ، وجُزُرٌ، وأحلام
وعليَّ أن أغْطسَ في بئرِ أحلامِهم
لكي أصْحو بلا مشقّات.

*حيّ العَوْد، أحد أحياء الرياض القديمة، وفي إحدى نواحيه تقع مقبرة العَوْد المعروفة.

مرثيّة الصّباح الباكر

وداعاً أيها الصّباح الباكر
وداعاً للقطَرات الباردةِ
التي تهْطِلُ فوق يديَّ على عجَل
وللزوجةِ الهاجعة بمَلَلٍ في سَريري..

وداعاً لخيوط الشَّمس الأولى
التي حمَتْ طُفولتي من هَبّات الجنّ
ومن الأمراضِ المستعْصية
وها هي ترتْطمُ بعشْوائية مُريبة
بجِدْران منزلي.

وداعاً لنُدَفِ النوم
التي أسْرقُها بين حُلمٍ وآخر
ثم أصْحو
كمن أصَابتْهُ شظيّةٌ عائِمة

وداعاً للعصافيرِ المَرحة
التي تنتظرُ خُروجي من المنزل
لتنقضَّ
على شُجيراتي الخضْراء.

وداعاً لصوت باب الكراج الأتُوماتيكي
الذي ينغلقُ
ليصْبحَ فاصلاً بين نومي وساعات عملي.

وداعاً لجِيْراني المسِنّين

الذين يهْبطونَ كلّ صباح
بملابسِهم المنزليّة الرثّة
لكي يحْمِلوا أحْفَادهم إلى المدارس
ويَزْجُروا المرضَ المتربِّص
تحتَ السَّلالِم..

لقد غادرْتُ وظِيفتي،
وعليّ الآنَ
أن أتجرَّعَ الوقتَ الفارغَ
مثلهُم
وأن أقودَ أغنامِي التائِهةَ
إلى البيت.

سُهَاد

إلى عبدالوهاب أبو زيد

هذه الورقةُ التي انْتزَعَها
مزارعٌ هِندي من قلبِ شُجيرة حِنّاء
وأبْقاها حَارساً لأوْجاعهِ
وهو يرْحل نحو البعِيد
حيثُ تنسى المخلوقات الحزينة..

هذه اليدُ
التي قاوَمت بِبَسَالةٍ
أسْواط المعلِّمين
ولدْغات سعفِ النخيل
وشُقوق الماضي البعيد

كلُّها تركَتِ القصيدةَ
بلا بَهْجةٍ
يُطَاردُها غرابٌ عابِر.

لا تتْركِ البحرَ في سُهادهِ
انتزِعْ بعضَ أسْماكِه
ليصْحُو طليقاً
واجمعْ طَحَالبهُ
لكي تصْفُو مِياهَه
وأعدْ إليه نَوارسَهُ
لكي "لا يقْضِيَ اللَّيل وحيداً"*
يُحدِّقُ في فَوانيسِه
التي أطفأهَا
ضَبابٌ أسْود.

- اشتباكٌ مع مجموعة الشاعر: "لا تترك الليل وحده".

نَوْرَس

لم أعْرفِ النّوارسْ
وَجَدْتُها يوماً
في كتابِ الأناشيدِ المدرسيّ
مَرسُومةً
بالأبيضِ والأسْود فقط
وبينهُما كانتْ تصْطَلي مراهَقتي الفَقيرة.

لقد نَسيْتُها
وفضّلتُ مطاردةَ الغِرْبان
التي تحومُ بلا كَللٍ
فوقَ شجرةِ التِّين العَائلية

طائرُ الأحلامِ ذاك
الذي يشبِهُ قَصيدةً أو امرأة
ها هوَ يتقافزُ أمامي
على الشاطئ المخْفُور بالصّخور
دون أن يغادرَ مخيِّلتي
لكنّه لا يعْبأُ بي
ولا بحَفِيدي الذي يرْمِي في طريقهِ
فُتاتَ خُبْزه..

إنهُ يتراكضُ فوقِ الرّمل
ويصدحُ بصوتهِ الغَامض
لتهبطَ نورسةٌ أخرى
بالقربِ من مقْعَدي البَحري
وأكْتُم أنْفاسي
لكي لا يشْعُرا بوجُودي..

بضعُ خَطواتٍ بينَنا
لكنَّها تُشْبهُ المسافةَ الغَادِرة
بين شِبَاك الصيَّاد
وشهْقَةِ الحُرية.

نصوص

شفيق العبادي

يتسللون

يتسلَّلونَ من نافذةِ القلبِ
يمسحونَ ستائرَها برذاذِ صباحاتِهم
حتى إذا استيقظتْ عصافيرُها
حزمُوا ظلالَهم على غفلةٍ منها
وطارُوا

فأرةُ الكتابة

في هذه النُّقْطَةِ العمياءِ على مرآةِ العالم
أنصبُ شِراكِي كلَّ صباح
بعدَ أنْ أُعِدَّ الطُّعمَ المُناسِبَ
لاستدراجِ فأرةِ الكتابةِ
واستخلاصِ ما يكفي من مِسْكِها لقارورةٍ من رائحةِ الحُروفِ
عيناً كما يفعلُ العطّارون بأخلاطِهم
تكفي لغَسْلِ هذا العفنِ الناشبِ مخالبَه في خشبِ الروحِ
أستحضِرُ أرواحَ كلِّ الشُّعَراءِ منذُ امرئ القيسِ حتى درويش
بطلاسمِ الكَلامِ وبَخُورِ القَريحةِ
أرحَلُ خلفَ جدائِهمْ وهم يُورِدونَ قَوافلَ أشعارِهم
لمنابعِ الدهشةِ ومرابعِ الكَشفِ
ألتقطُ ما يطيرُ من نبوءاتِهم
وأصُرُّه جيداً في أقْبيةِ الذاكرةِ
لأعودَ له لاحقاً كلَّما اتسعتْ أمامَ أشْرِعَتي خرائطُ النّسيانْ

لاعبا الشطرنج

بعد أن جفَّتْ قريحتُهما
اتفقَ لاعبا الشِطرنْج
على إرجاءِ المواجهةِ لجولةٍ أُخرى
تاركينَ خَلفهُما جيوشاً من الأحْجارِ المحطَّمة

باختصار

هي الروايةُ الأطولُ والأكثر جدلاً
لتداخلِ مياهِها
مسرحٌ رومانيٌّ مفتوحٌ ومختلطُ الأنسابِ
أبياتٌ خَداجٌ استعصى على القرائحِ انضاجُها
فضلَّتْ مُعلَّقةً بحبالِ الشعراءِ
فُندقٌ باتّساعِ العُمرِ
أثْقلتْ جُدْرانَه بخَربشاتِ أوهامِك
مارثونٌ لا أحدَ يرغبُ أن يكونَ الفائزَ فيه
حقيبةُ سفرٍ مَسْكونةٍ بأغلى الملابسِ التي لم يَتَّسعِ الوقتُ لاستخدامِها
قِطارٌ من فُرطٍ ما عَرفتهُ المحطَّاتُ لم تعُدْ تشعرُ بمروره
تلك هي حَياتُكْ

نظرة

ما أبرعكِ
بلا ضوضاء
ولا جدلٍ منطقي
استطعتِ إقناعَ جميعِ حَواسّي
فقط
بنظرةٍ واحدة

الليلُ وأشياءُ أخرى

على غيرِ العادة
لا يُزْعِجُني نقيقُ أجراسِ الواتسْ أبْ
صحيحٌ أنَّ أسرابَ طيورِه تجدُ نفسَها في الغالبِ أزهاراً ذابلةً
في أقفاصِ مُطْفأةِ الرسائلِ
لكنَّ صفيرَه يُشعرُني بأنَّ أسلاكَ (نهاري) لا زالت موصولةً
ذلك الذي كنتُ أملأُ به كأسي ما استطعتُ قبلَ إطفائِي عُنوةً
وبعد استنْفادي لحيلةِ الأشواطِ الإضافيَّة
مُتمتْرساً وراءَ لحافٍ يشبهُ سواترَ الحروبِ
أُكملُ إحصاءَ ما ضاقتْ شـباكي عن اصطيـادِه من نجومٍ في الليالي الفائتةِ
وخُطَطِي عمَّا قصُرتْ عنه من تكتيكاتٍ
لإحداثِ ثغرةٍ لتمريرِ أحجاري في رقعةِ الشَطرنجِ الكبيرةِ تلك
أُمَرِّنُ حواسي على المشي في حقولِها دونَ أن تَبتلَّ بنوافيرِها
وحصادِ ما فاضَ من معاني سنابلِها المنقوعةِ برائحةِ الجهاتِ
هنا رأيتُ نفسي مُلْقىً من شاهقِ الكلام
لامتحانِ قُدرَتي على الصمتِ والتَرقُّبِ والتَمْويه
تعلَّمتُ النظرَ لكلِّ نصٍّ بمثابةِ نفقِ خلاص
كأحدِ الذينَ حفروا مصائرَهم لدورةِ الحياةِ مرةً أُخرى
الفرقُ بيننا أنَّني أبتكرُ كُهوفي بعنايةٍ
دون رقيبٍ أو أبوابٍ
وهنا مكمنُ الحيرةِ
من أيِّ نُقْطةٍ أبدأُ النقْرَ؟

افتراض لا أكثر .

شقراء المدخلية

الآن في هذا البياض
الحالك الممتد
تسرقني عيونك
كنتُ أغزل قصة للحب
من وهم الحقيقة
كنتُ في هذا الهلام العاطفي
أقشر الأفكار
وهم آخر ويتم هذا النص قصته
ينام أبطال الحكاية
بينما عيناك ساهرتان عندي
وأنا أفتش عن ممر آمن
كي أعبر الرؤيا إليك..

تأوي المطارات
البعيدة للغياب
تحلق الأحلام في جيب الحقائب
يحكم الطيار قبضته على نهد الغيوم
فتنتشي قيثارة علوية
كانت تخبئ شوقها للريح
تضحك وردة سمعت تنهدها
وتجنح للخيال ...

الآن شوقك غائر كالنبع
لكني أراوده ليصعد
مثل موسيقى الكمان
ويرتقي نحوي السلالم
أي مفتاح سيبتدئ الغناء
وهل ستكفي الـ "دو ،ري ،مي ،فا "
لنسقط في بلاغتنا
أم الأشواق أكبر من صدى
هذا السديم ومن صدانا؟!

هبني أحبك
هل يعود السندباد إلى بلاد الحب
هل يلغي جواز عبوره الممهور
بالتجوال في عرض الحياة وطولها
ليعيش منفياً بداخل حبكة
كتبت نهايتها السماء على طريقتها القديمة
في التصدي للرعاة العاشقين..

هبني أحبك مرة أخرى
أتتسع الجزائر للنوارس في ملامحنا
أتبتهج الحقول بطفلنا الموعود
يركض ملء أضلعها
أتمطرنا السماء بلونها الفضي
لو أنّا خرجنا عاريين لنحتسي
الوجد المعتق
في فضاءات الجنون..

قصة قصيرة

حصان القايلة.

عبدالله العرفج

مـازال صغيـرًا دون العاشـرة، ولذلـك يتلبس أمـه الرعب كلمـا طلـب منهـا الخروج إلى الشـارع ليلعـب مـع رفاقه، فتنهره، ولا تسـمح له بالخروج، مبتكرة أسـاليب متنوعـة لمنعه مـن الخروج. ومن ذلـك تخويفه "بحصـان القايلـة: "إن خرجـت في هذا الوقت حصان القايلة يأكلك"

ولأنه يحب اللعب كأي طفل في سنه، ويشتاق لرؤية أصدقائه، صـار يشـعر بفداحة الحصـار المضروب حوله، وبدأ يتملل من كثرة بقائه في البيت، فمجال الحركة واللعـب المتاح هو الحـوش الصغير، وعليه أن يلعب وحـده، وهو لا يطيق ذلك، يفكر فيما وراء الجـدران، وأماكن أكثر رحابة، لا تشـبه هذا الحوش.

وكلما اقترب من الباب جاءه صوت الأم:

"إن طلعت حصان القايلة يأكلك".

صار يفكر: أمـي تحبني هذا مؤكـد، فلماذا تمنعني من شيء أحبه؟ تخاف علي كما تقول.. قلت لها مرارًا "لن أبتعد كثيرًا، سأكون قريبًا من البيت، سأجد من أولاد الجيران من يلعب معي". عندما فاتح أمه بهذه الأفكار قالت: من قال لك أني لا أحبك؟

"لأنك تمنعينني من الخروج".

"أنـا أحبك، وأخـاف عليك، ولذلك أفضـل أن تكون معنـا، بإمكانـك أن تلعب في البيت، وسـأحضر لك مزيدًا من الألعاب".

صار يقضـي معظـم وقته في البيت: إما نائمًا، أو يتشـاجر مع أخواته. لكنه دائمًا مشغول البال بما وراء الباب والأسـوار، متخيلًا حصـان القايلة الذي يتجول في طـرق البلدة، بانتظـار أي طفل يخرج مـن بيته، لينقـض عليه ويفترسه.

كلما همَّ بالخروج يتخيله رابضًا أمام البـاب، فاغرًا فـاه، متهيئًا لالتهامـه، فيجفـل ويتراجـع للوراء، ويرتد إلـى أقصى البيت متدثـرًا بالأغطيـة، خشـية أن يكسر حصان القايلة الباب ويقتحم المنزل ويلتهمه.

مع الأيـام تحول هـذا الرعب والخوف إلـى نوع من الفضول: "كيف يبدو حصان القايلة؟ أتمنى أن ألقي عليـه نظرة ولو مـن بعيد، يومًا ما سـأراه ". أحيانًا يتخيلـه برأس كبير، وفم واسـع فاغـر، وأرجل وأيد ضخمة وطويلة، ورقبة طويلة جدًا لو مدها من فوق الجدار لتناول مَن خلفه.

وفي "ظهيرة لا مشـاة لها" اسـتغل خلـو الدار من الأرواح المتحركـة، بعد أن دخلوا في القيلولة، واتجه بهدوء ووجل نحو الباب، التفت في كل الجهات بحثًا عن حصان القايلة المتربص بالأطفال، لكنه لم يره، بل لم ير أي كائن متحرك.

" لا يمكن أن يختبئ، لو كان موجودًا لرأيته"

وضع قدمـه الناعمة على الطريق الترابي، كان خاليًا من الناس أو أي كائن حي، الشـمس ليست شديدة الحرارة، ومن الممكن تحملها، بل إن قطعًا متفرقة من السـحب كانـت تعبر بين فينة وأخـرى على غير المتوقع في هذا الفصل من السنة.

قطع الشارع عرضًا، ثم استدار، وشرع في المشي مكثرًا من الالتفات؛ وفي داخله تعتمل مشاعر متناقضة بين الخوف والفضول والشجاعة الطارئة.
البلدة صغيرة يمكن الالتفاف حولها في سويعات، فأخذ يذرعها شارعًا إثر آخر، بحثًا عمن يلعب معه، بدا له أن الجميع لا يخرجون من بيوتهم ظهرًا، حتى وجد نفسه في فضاء واسع، فيه شجيرات صغيرة، وقليل من الأشجار الكبيرة ذات الظل، فاختار أكبرها ظلاً وجلس تحتها.
كان تعبًا من المشي والالتفات والتحديق، ولذلك دخل في نوبة عميقة من النوم لم ينتزعه منها إلا صوت غريب مخيف تحركت له وريقات الشجر، ما جعله يفز واقفًا فزعاً، فتح عينيه على الآخر.. فركهما طلبًا لمزيد من الرؤية لكي يتمعن ما رأى.
قال في نفسه "هذا حصان القايلة، ولكنه جميل وبهي لا يخيفني"!
اقترب منه شيئًا فشيئًا، وقد ذهب عنه الروع:
" لا يمكن أن يلتهمني هذا الكائن الجميل"
تذكر تحذيرات أمه:
" إن خرجت يأخذك حصان القايلة"
"انه لا يخيفني، شكله جميل، مسالم، أبدًا لا يخيفني" اقترب منه أكثر.. وضع يده على رقبته، لم يبد أي مقاومة، بل خفض رأسه قليلًا، أخذ الولد يمسحها بالاتجاهين برفق، وسط استسلام عجيب وغريب من الحصان.
خامرته فكرة مجنونة وهي أن يمتطيه، ويأخذه معه، لم يكن في رقبته أو عنقه رسن، ولا على ظهره سرج، وضع يده على رقبته، وإذا به يحنيها قليلًا، ويعكف رجليه مما سهَّل عليه امتطاءه.
ولكن ما إن تحرك الحصان عدة خطوات حتى سقط من على ظهره.. اقترب الحصان منه، ثم انحنى عليه مميلًا برأسه نحوه، وكأنه يريده أن ينهض ويسهل عليه الركوب مرة أخرى. نظر إليه، فرأى الانكسار في عينيه، شعر أنه بذلك يعتذر عن إسقاطه.
ركب الفتى مرة أخرى، فانطلق الحصان، وكان أقل اندفاعًا، مما جعل الولد يشعر بنشوة، وأنه قريب من هذا الكائن اللطيف.
سلك طرقًا جديدة نحو بيته، وجد الباب مفتوحًا كما تركه، نزل من الحصان، ودخلا البيت.. أخذه إلى حيث نخلة في وسط الحوش، وتركه في ظلها بجانب البقرة، ثم أخذ بعض البرسيم المكوم حولها ووضعه أمامه.
في هذه اللحظة كانت أمه تقترب منه بعد أن زال عنها توتر وقلق الغياب، وحلَّ محله الاستغراب والدهشة، غير مصدقة ما تراه.. وبادرته بالسؤال:
ما هذا؟ رد بسرعة:
"هذا حصان القايلة"!.

اللصوص الطيبون

فوزية الشنبري

"الكُتاب يشبهون اللصوص الطيبين". كما وصفتهم شهرزاد أمريكا اللاتينية: إيزابيل الليندي يسرقون الحدث والحكاية من أفواه الأصدقاء ومن صراخ الجيران ومن حزن الأحباب ويحولونه بسحرية الخيال واللغة إلى قصصًا جديدة مختلفة، وخلق حقيقة معينة من أكاذيب كثيرة .
يكتشفون الكنوز المخبأة وراء الأشياء الظاهرة، يحللون الأحداث البالية ويشقون الليل ليسكبوا الطمأنينة بالخيال في الأرواح المتعبة.
الأدب ليس للتسلية وضياع الوقت كما يعتقد الذين يرددون أن العمر لا يحتمل المزيد من الأكاذيب كما كنا نهتم لها في مراهقتنا، وأن الوقت ثمين والأجدر قضاؤه في مطاردة الأخبار والأحداث العالمية والتاريخ كحقائق مفيدة.
بعض قُراء التاريخ ينتقصون من قُراء الأدب ويتهمونهم بالليونة والوهم، وبعض قُراء الأدب لا يؤمنون بالتاريخ كله ويعتقدون أنه خرافة لعب بها سلسلة من الناس الذين يحبون (الأكشن) .
الفكرة كلها في الإيمان والذائقة، لا يمكن تجريد أي واحد من الفئتين من إيمانه ومصدر إثارته.
لا يفترض أن نكون في موقف دفاع دائما عن ما نحب.
نحن فقط نقدم التجربة وهي كفيلة بالوصول إلى مكانها الصحيح وقلب الموازين وإنعاش الروح بما تحب وبعث التساؤل الذي حتما سيوصل القارئ إلى متعة الحقيقة والطمأنينة في نفسه .
الكاتب في جميع أحواله يعاني من حاجته لقول شيء ما، شيء مختبئ لا يفهمه غيره وبالأصح بطريقته هو .الحاجة هي الصدق كله ولا غيره.

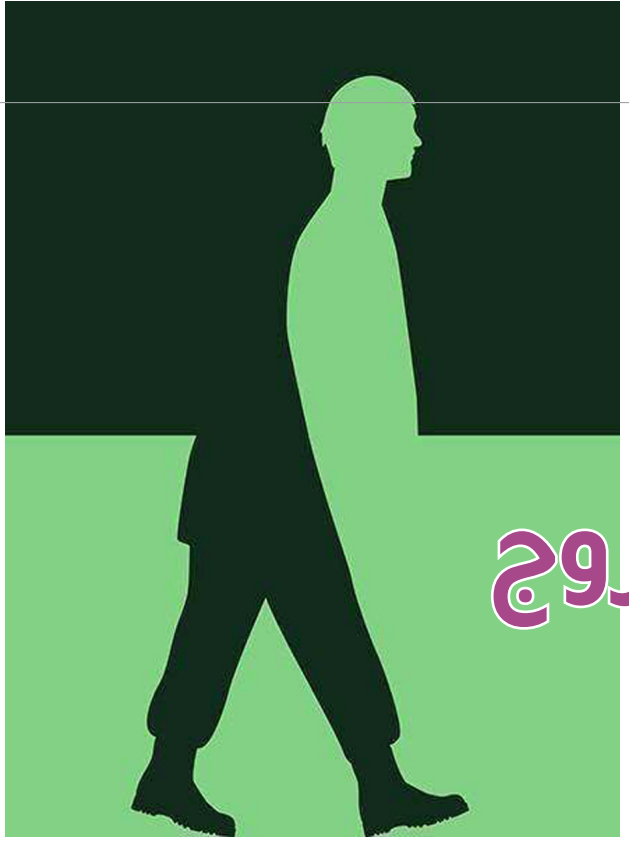

الخروج

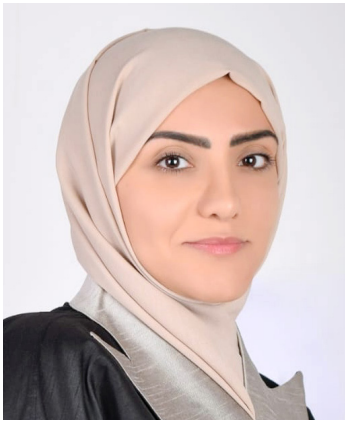

رجاء البوعلي

على طريقِ العَوْدِ، أسيرُ
يتبعُني ظلٌّ قادمٌ من عمقِ الماوراءِ
نافرٌ من كأسِ معناه، من سجنِ الطبيعة،
فائضٌ بالروحِ عن حاجةِ الجسدِ الغويّ،
أسيرُ والغياب، خليلان!
يتجاذبان وجعَ الأفولِ،
الغيابُ مُنهكٌ ومريحٌ،
الغيابُ ريحٌ،
الغيابُ يُريحُ،

***

على طريقِ العوْد
سلّ الرحيلُ صهيلَ أجنحته،
ودعا الغروبُ غيماتِ السلامِ؛
تحرري من عقدةِ الذنبِ القديمِ
وتجاسري في الطريقِ الغريبِ
تنهمرُ أصواتُ السنينِ، وتجري من معبرِ الأزلِ
تجري فوقَ صدركِ، وقرعُ الطبولِ اذانٌ قريبٌ
فهل امتلأتَ مني؟ واكتفيت من أمسِ الحقيقة؛
هل استحالَ بك المدُ وانخفضَ الجناحُ؟
اللقاءُ كُنا به،
اللقاءُ كان بنا يستطيلُ،
ينتصرُ
ويستحيلُ أن يُهزمَ،
ذلك اللقاءُ، مُتحدُ القوى
هيا اسحب الريحَ نحوَك،
واستقر في النجوى
مابالها كل الأماني نكست فينا الشراعَ؟
أوهنت تلك القوى!
أوجعت فينا المعاني، أوقدت كل آهاتِ الوجودِ،

***

الغيابُ صار مني،
شقّه الغيبُ
واستقلّ بخطاك
كان للحلمِ أغاني، واستقالت!
واستحلّ قلبَها سرجُ حديدٍ،
يشبهُ القربَ البعيدَ،
كُنت هنا،
وهي كانت هُنا،
وأبي الراحل كان في يومٍ هنا، على طريقِ السائرين التائهين،
الثائرين بحبهم جئنا!
والثائرين ببغضهم جاءوا!
وكنت أعجبُ من فرطِ المتاهة!
إنسانٌ قويمٌ؛ تخنقه السُبلُ، ويطيشُ وعيُ الرهينةِ
أسمعُ الشكوى، يتبدّى لي الفراغُ الكبيرُ
أفتلُ النشوةَ وأرمي،
وأظل أرمي،
كل مافي الجيبِ من هُلامٍ وهلامٍ
أُبصرُ الرؤيا، أقولُ: لاشيءَ عندي يستحق!
يهدأُ الموجُ، يتلاشى..
ويعودُ كلما مالَ به الحزنُ
وأعود،
وتعود أنتَ وهي
وأبي أيضًا يعودُ
واقفين على ظلِ الخلودِ،
غيرَ أنّ الظل؛ راحلٌ
ولا يبقى سوى طعمَ الخروجِ.

مع 150 شاعرا في «أمير الشعراء»:

أيامٌ لا تليقُ إلا بالشعر.

علي أحمد باالبيد

في بحث مستمرٍ عن ذواتنا الشاعرة، كان يوم الإعلان عن مسابقة أمير الشعراء هاماً لولادة قصائدنا التي خُبأت ليوم كهذا، حيثُ يلدُ فيه الحلم قصيدة.

بعد عدة رسائل واتصالات من أصدقاء ومحبين قررت إرسال قصيدتي لرابط المشاركة في البرنامج، وبعدها بأشهر أتصل بي منسق البرنامج وأبلغني بقبول المشاركة وترشحي لمرحلة الـ 150 شاعرا.

وكأن كل الأحلام ستصبح واقعاً ملموساً، سيختصر الشاعر العديد من المراحل لتصل القصيدة إلى حلمها الأهم، ستظهر هذه التجربة وسيظهر الشاعر بشكله الذي يليق به، بعد إتمام كل الإجراءات وصلت مع عدد من الأصدقاء إلى دولة الإمارات، وتحديداً كانت وجهتنا مدينة أبو ظبي تلك المدينة الحالمة التي تنطق شعراً، كل ما في تلك المدينة

جانب من لقاءات الشعراء

يصلح أن يُخلد بصورة شعرية فاتنة.

كان الاحتفاء كبيراً بالشعراء، وكانت الإقامة تشبه احتفالاً شعرياً لا يليق إلا بالشعراء، أكثر من 150 شاعر وشاعرة يقيمون في مكان واحد لمدة تزيد عن عشرة أيام في أجواءٍ لا تليق إلا بالشعر، كلهم جاءوا من بلدان شتى لا تجمعهم سوى الكلمة والكلمة فحسب.

في تلك المدينة التي يحرسها الشعراء كانت القصائد تحاور بعضها، المقهى يكتظ بالشعراء وهموم القصيدة والثقافة والأدب كانت سيدة المرحلة، حكايات وقصص ونقاشات واستعراض تجارب وتحليل نصوص، وكأنا خلقنا لنكتب الشعر ونتحدث في الشعر ونحاول تعريف أنفسنا من زاوية الشعر؛ عالمٌ موازٍ لا يشبه عالمنا الحقيقي، عالمٌ مرصعٌ بالمجاز.

رغم تهيئة كل الأجواء الشاعرية إلا أن الشعراء في المسابقات يطرأ عليهم ضغط المرحلة، ترقُّبٌ كبير ليوم المقابلة، وترقب أكبر لظهور النتائج، الكل يحاول أن يخفي قلقه ويطمئن زملاءه، وبرغم كل المحاولات يبقى الإنسان هلوعا.

في شاطئ الراحة التقينا بلجنة التحكيم الموقرة، وقرأنا قصائدنا لتنال حظها من النقد الذي يصقل تجربة الشاعر وينميها، وكان اللطف سيد الموقف، أجازت اللجنة قصيدتي بالإجماع معلقين عليها بكلماتٍ عذبة وإشادات رائعة كانت بمثابة السراج الذي يضيء عتمة الطريق، والباب الذي يقف عليه كل شاعر حقيقي نحو بلوغ القمة الشعرية.

أيامٌ علقناها قلادةً على جيد الزمان، وشمسٌ أشرقت على أحلامنا التي أصبحت واقعاً مُلهماً وتجربةً رائدة برفقة عشرات الشعراء والشاعرات من جميع أقطار العالم.

كل الشكر للإمارات العربية المتحدة، ولهيئة التراث والثقافة في أبو ظبي عنايتهم بالشعراء، وعلى ما تقدمه من خدمات جليلة ومبادرات رائعة في إيصال اللغة العربية الفصحى لمحبيها.

وأخيراً أقول للإمارات:

هنا الإماراتُ، والمعنى لها يقفُ
من أي آلاءِ هذا الجود أغترفُ
تقاصر الشعر عنها، كلما نبتت
فيها المشاعرُ ورداً تاه من يصفُ
هذي الإماراتُ، ما مرت على شفةٍ
الا وهبّت لها بالحب تعترفُ
كأنها في فم الأيام أغنيةٌ
تُلقى فيرقصُ في أعماقِنا الشغفُ
لولا ابتسامتُها الفصحى لنا وبنا
ما زغردت في الحنايا الياءُ والألفُ

مرافعةٌ، لكن ضدَّ من؟!!

حسن النعمي

في عام 1983م أعلنَ التلفزيون السُّعودي (غصب 1) أنه نظرًا لانقطاع الكهرباء عن مكَّة المكرمة، ولعدم تمكن أهلها من مشاهدة الحلقة الأخيرة من المسلسل العربي، فإنَّه سيعيد بثَّها في موعدها اليوميّ المحدَّد، من شاهد الحلقة ابتهجَ، ومن لم يشاهدها اطمأنَّ؛ حيث كانت ليلةً من ليالي اللقاءات العائليَّة التي تشبه حكايات ألف ليلةٍ وليلة.

المهمُّ ليس المشاهدة في حدّ ذاتها بل في مكانها، أحدّثكم عن صالة المعيشة التي كانت (برلمان)العائلة، حيث لا وجود للغرف المحشوة بالأسرار والغموض المريب؛ الذي يعيشه أفراد الأسر في هذه الأيام، كانتِ الصَّالة منطقةً حيويةً تجري فيها كلُّ اللقاءات، وتتناولُ الوجبات، وتتَّخذُ قراراتُ المستقبل، وأصبحتِ الصَّالة الآن مررًا للعبور إلى الأبواب المغلقة.

ومن أهم لحظات اجتماع العائلة التَّحلقُ حول السُّفرة بشغفٍ سرقته الأيام، أذكر أنَّنا كنا نختصمُ حول من يجلس بالقربِ من أبي وقتَ تناولِ الوجبة، حتَّى أصبح الأسبقُ دنوًا من السُّفرة هو من يظفر بشرفِ الجلوسِ قرب أبي، وهذا التَّنافس البريء توارى، وتشتَّت شملُ أفرادِ الأسرة، واختلف وقتُ صحوهم وسمرهم، واختلفت أوقاتُ وجباتهم، فمنِ المسؤولُ: الحياة، الظُّروف، أم عوامل الدَّفعِ للانعزالِ. وما أكثرُها؟!!

العدد 2837 - 05 - ديسمبر 2024